

سِلَاحُ شُرُوجَاتٍ وَمَقُولَاتٍ مَعَانِي الشَّيْخِ صِلَاحِ الْفُوزَانِ (٣٧)

شَرْحُ مُقَدِّمَةٍ

أَبِي أَبِي زَيْدٍ الْقَيَّرَوَانِيِّ

لِلْأَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي زَيْدٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

وَالْفَقِيرِ الْقَيَّرَوَانِيِّ إِلَى

(المتوفى: ٣٨٦ هـ)

الشَّيْخِ

لِفَضْلِ الشَّيْخِ الْمَلَمَةِ

الدَّكْتُورِ صِلَاحِ بْنِ فُوزَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْفُوزَانِ

بِعِزَّةِ اللَّهِ لَهُ وَلِزَوَّجَتِهِ طَبِيعِ السَّابِقِينَ

الْمُتَخَصِّصِ بِوَرَأْسِ مَنْ عَمِلَ طَبِيعِهِ

د. سَلَمَانُ جَابِرُ عُمَرَ مَانِ الْمُجَاهِدِ السُّوَيْلَمِ

بِعِزَّةِ اللَّهِ لَهُ وَلِزَوَّجَتِهِ وَلِأَهْلِ بَيْتِهِ وَلِأَتَابِهِ

بِكُتُبِهَا الْأَمَلُ الْبَازِغِي

الْكُتُبِ

الْبَرَاءَةُ الْبَازِغِي

الرَّيَاضِ

أَبِي أَبِي زَيْدٍ الْقَيَّرَوَانِيِّ
شَرْحُ مُقَدِّمَةٍ

شرح مقدمة

ابن أبي زيد القيرواني

ح مؤسسة التراث الذهبي للنشر والتوزيع، ١٤٤٠ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المجلهه، سلمان بن جابر بن عثمان

شرح مقدمة أبي زيد القيرواني، / سلمان جابر المجلهه،

- الرياض، ١٤٤٠ هـ

١٨٤ ص، ١٧/٢٤ سم

ردمك: ٦-٠-٩١١٨٢-٩٧٨-٦٠٣

١- العقيدة الاسلاميه أ. العنوان

١٤٤٠/٢٦٧٠

ديوي ٢٤٠

رقم الايداع، ١٤٤٠/٢٦٧٠

ردمك: ٦-٠-٩١١٨٢-٩٧٨-٦٠٣

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

(١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٣ م)



مكتبة الإمام الذهبي للنشر والتوزيع

الفرع الرئيسي، حولي - شارع المثنى - مجمع البدري - ت: ٢٢٦٥٧٨٠٦

فرع المصاحف، ت: ٢٢٦١٥٠٤٦ - فرع الجهراء، الناصر مول، تلفون: ٩٥٥٥٨٦٠٨

فرع الفحيحيل، البرج الأخضر - شارع الدبوس - تلفون: ٢٥٤٥٦٠٦٩ - ٩٥٥٥٨٦٠٧

فرع الرياض، المملكة العربية السعودية التراث الذهبي - جوال ٠٠٩٦٦٥٥٧٧٦٥١٣٨

الخط الساخن، جوال: ٠٠٩٦٥ ٩٤٤٠٥٥٥٩



z.zahby74@yahoo.com



imamzahby



شرح مقدمة

ابن أبي زيد القيرواني



لأبي محمد عبد الله بن أبي زيد عبد الرحمن
النفزي القيرواني المالكي
(المتوفى: ٣٨٦هـ)

الشَّيْخُ

لفضيلة الشيخ العلامة

الذكر صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

اعتنى به وأشرَفَ على طبعه

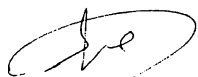
د. سلمان جابر عثمان المجاهد السويلي

غفر الله له ولوالديه ولأهل بيته ولشايخه

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وبعد:
فقد أذنت لابننا وتلميذنا فضيلة الشيخ الدكتور سلمان بن جابر بن عثمان المجاهم
بطباعة: شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني رحمه الله.
رجاء أن ينفع الله به، ويكتب لي وله الأجر.
وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه: د. صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة



٥٩٢٩ / ١٢١٥

مُقَدِّمَةُ النَّاشِرِ

الحمد لله الأول الآخر، الظاهر الباطن جَلَّالَهُ، والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وعلى صحبه وآله، أما بعد:

فهذا شرح لمقدمة ابن أبي زيد القيرواني المالكي، المولود سنة ٣١٠هـ، والمتوفى سنة ٣٨٦هـ، عن ٧٦ عامًا -رحمه الله تعالى-، وقد عرف باعتنائه وحبّه للسنة والأثر، والرد على أهل الأهواء والبدع والمخالفين، وكان رَحِمَهُ اللهُ عالمًا فقيهاً، كثير التأليف، حتى إنه يلقب بمالك الصغير.

وكان أول مؤلفاته الرسالة التي هي أول مختصر في مذهب السادة المالكية، وقد تعرض الإمام أبي محمد ابن أبي زيد في رسالته للتوحيد والفقه والآداب، وقد ذكر بعض أهل العلم أن هذه الرسالة حوت نحو أربعة آلاف مسألة.

وقد نظم الشيخ أحمد بن مشرف الاحسائي المالكي المتوفى سنة ١٢٨٥هـ مقدمة الرسالة في تسعين بيتاً.

وهذه المقدمة على عقيدة السلف الصالح الصحابة -رضي الله عنهم وأرضاهم، وأخزى الله من سبهم وعاداهم- في ذكر أركان الإيمان وأسماء الله وصفاته؛ بلا تشبيه، ولا تمثيل، ولا تعطيل، ولا تكييف.

والإمام ابن أبي زيد القيرواني المالكي صاحب عقيدة سلفية سنية، ومقدمة رسالته جارية على نهج السلف الصالح ولزوم السنة والأثر.

وفي هذا الكتاب شرح شيخنا العلامة ووالدنا الكريم صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان هذه المقدمة الطيبة، التي جرت على منهج أهل السنة والجماعة وطريقتهم.

فرحم الله الإمام أباً محمد ابن أبي زيد القيرواني المؤلف صاحب المقدمة، وشارحها شيخنا ووالدنا العلامة الدكتور/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، والمعتني بها العبد الضعيف الفقير الذي يرجو رحمة ربه وستره ومغفرته وعافيته، ورحم الله المتبرعين الذين جادوا بالتبرع الكريم، وطبع الكتاب على نفقتهم: الشيخ أباً عبد الرحمن مساعد بن علي الشايحي، والشيخ أباً وائل محمد بن أحمد الفرحان، وزوجته الكريمة المباركة.

ومما يشار إليه أن طباعة هذا الكتاب، وريعه، والعائد من بيعه، وكل ما بذل فيه هو وقف لله تعالى، وهو مشروع وقفي من أموال وقفية، تقبل الله من الجميع، والله أعلى وأعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

د. سَلْمَانُ جَابِرُ عَثْمَانَ الْمَجَاهِدِ السُّوَلِيِّ

عَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلَوْ أَلَدَ وَلَا أَهْلَ بَيْتِهِ وَلَا أَهْلَ بَيْتِهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الشارح

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين... أما بعد:

فهذا تعليق وجيز على مقدمة الشيخ الإمام الحافظ/ عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي زيد القيرواني^(١) على رسالته التي ألفها في الفقه المالكي، علقته عليها أثناء قراءتها في المسجد، وهي مقدمة تربوية يجب أن يربى عليها طلاب المدارس، ويلزموا بحفظها؛ لأهميتها وكبير فائدتها.

(١) الإمام، العلامة، القدوة، الفقيه، عالم أهل المغرب، أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، المالكي، ويقال له: مالك الصغير. وكان أحد من برز في العلم والعمل. قال القاضي عياض: حاز رئاسة الدين والدنيا، ورحل إليه من الأقطار ونجب أصحابه، وكثر الأخذون عنه، وهو الذي لخص المذهب، وملا البلاد من تواليه، تفقه بفقهاء القيروان، وعول على أبي بكر بن اللباد. صنف كتاب «النوادر والزيادات» في نحو المائة جزء، واختصر «المدونة»، وعلى هذين الكتابين المعول في الفتيا بالمغرب، وصنف كتاب «العتبة» على الأبواب، وكتاب «الافتداء بمذهب مالك»، وكتاب «الرسالة»، وكتاب «الثقة بالله والتوكل على الله»، وكتاب «المعرفة والتفسير»، وكتاب «إعجاز القرآن»، وكتاب «النهى عن الجدال»، ورسالته في الرد على القدرية، ورسالته في التوحيد، وكتاب «من تحرك عند الفريعة». وقيل: إنه صنع «رسالته» المشهورة، وله سبع عشرة سنة. قال أبو إسحاق الحبال: مات ابن أبي زيد لينصف شعبان، سنة تسع وثمانين وثلاث مائة، وكذا أرخه أبو القاسم بن مندة، وأرخ موته القاضي عياض وغيره في سنة ست وثمانين وثلاث مائة. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٠ - ١٣)، وتاريخ الإسلام (٦٤٧/ ٨)، ومعجم المفسرين (٣١٢/ ١).

وجرت عادة السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ أَنَّهُمْ إِذَا أَلْفُوا فِي الْفَقْهِ، يَبْدُؤُونَ بِبَيَانِ الْعَقِيدَةِ، وَيَقْسِمُونَ الْفَقْهَ إِلَى: الْفَقْهِ الْأَكْبَرِ، وَهُوَ فَقْهُ الْعَقِيدَةِ، وَالْفَقْهِ فِي الْفُرُوعِ، وَهُوَ الْفَقْهُ فِي الْعِبَادَاتِ وَالْمَعَامَلَاتِ؛ لِأَنَّ أَرْكَانَ الْإِسْلَامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصُومُ رَمَضَانَ، وَحُجُّ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ^(١).

فالركن الأول من أركان الإسلام هو العقيدة، وهي الإيمان بالأركان الستة، وهي الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، والإيمان باليوم الآخر، وبالقدر خيريه وشره^(٢)، فكانوا يكتبون في بيان هذا الركن كتب العقائد الصحيحة على منهج السلف، ثم يتبعون ذلك بشرح الأركان الأربعة: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وما يتبع ذلك من المعاملات، والوصايا، والأوقاف، والموارث، والجنايات، والقضاء... إلى آخره، ولكن لما تأخر الزمان، فصلوا علم التوحيد على حدة، وجعلوا قسم العبادات وما يتبعها على حدة؛ كما هو في الكتب الموجودة الآن على المذاهب الأربعة، ومن هذه المؤلفات رسالة ابن أبي زيد، ألفها في فقه الإمام مالك ومذهبه، وبدأها بمقدمة في التوحيد، على نمط ما عليه المتقدمون من العلماء، وهذه المقدمة اعتنى بها العلماء شرحاً وتوضيحاً، وكذلك حفظاً ونظماً؛ لاختصارها ولأهميتها، وسلامتها من الأخطاء؛ لأنها ألفت على مذهب السلف الصالح.

(١) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٨) عن عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ: «الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتُحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا».

(٢) كما في حديث جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ المخرج في الحاشية السابقة.

وشرحت هذه المقدمة بشروح انحرف بعضها عن معانيها الصحيحة، وحوروها إلى المذاهب المتأخرة، ولكن شروحها القديمة وما جاء على نظمها من الشروح المتأخرة سليمة، والحمد لله!

وكان عهد الأئمة الأربعة ومن قبلهم على منهج السلف، وكذلك تلاميذهم الذين أخذوا عنهم كانوا على مذهب السلف أيضًا؛ في الاعتقاد، وفي العبادة، وفي أمور الدين، إلى أن انتهت المائة الرابعة من الهجرة، فحينئذ دخل الدخيل على المسلمين؛ حيث جاءت الصوفية، وجاءت القبورية، وجاء علم الكلام والمنطق، فصار الناس -إلا قليلاً منهم- متأثرين بالصوفية، والقبورية، والتشيع، وبعلم الكلام... إلى آخره، حتى تركوا الاستدلال بالكتاب والسنة، وذهبوا إلى الاستدلال بعلم الكلام والمنطق والجدل، ويسمون ذلك: الأدلة العقلية والبراهين العقلية، وأما أدلة الكتاب والسنة، فيسمونها: الأدلة السمعية الظنية، فهي عندهم تفيد الظن، أما علم المنطق وعلم الكلام، فإنه يفيد اليقين؛ ولذلك سموها بالبراهين العقلية، ويقدمون العقل على النقل، ويقولون: (إن العقل لا يخطئ؛ بخلاف النقل، فقد يدخله شيء من ضعف السند والرواية...، إلى آخره)، ويشككون فيها، وبنوا عقائدهم على علم الكلام.

ودخل هذا على بعض أتباع المذاهب الأربعة، فتجد الذي ينتسب إلى مذهب الشافعي -مثلاً- شافعيًا في الفقه، ولكنه عقلي في العقيدة على خلاف مذهب الشافعي فيها، حتى يقول قائلهم «عن نفسه»: (إنه شافعي مذهبًا،

نقشبندي معتقداً؛ فهو شافعي في علم الفقه، ولكن في العقيدة نقشبندي أو عقلائي، وانتشر هذا فيهم، حتى خالفوا عقائد أئمتهم، وأخذوا عقائد المتأخرين، وصاروا مشكلين مثل الخنثى المشكل الذي لا يدري هل هو ذكر أم أنثى، فهذه آفة دخلت على المسلمين، فبنيت بسببها المشاهد على القبور، وتعلقت القلوب بالمشاهد -إلا من شاء الله-، وهجرت المساجد.

ولما استولى الفاطميون -وهم الشيعة الباطنية^(١)- على مصر، وعلى غالب البلاد، وفشت الطرق الصوفية، بنوا القباب على القبور وشيدوها، فتغيرت العقيدة عند كثير من الناس، وصار الإسلام اسماً لا حقيقة -إلا من رحم الله-، ولكن الله قيض أئمة مجددين، يدعون إلى مذهب السلف، ويبينون ما في مذاهب الخلف من النقص والمخالفة، منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وجماعة من المحدثين السلفيين، وهؤلاء مجددون؛ لأن الله يبعث لهذه الأمة على كل رأس مائة سنة من يجدد لها دينها؛ كما في الحديث^(٢).

(١) وهي الدولة التي تسمت باسم الفاطميين؛ نسبة لآل البيت، وأنى لهم ذلك ومؤسسها يهودي (عبد الله بن ميمون القداح) وهي دولة إسماعيلية، ومنها انبثقت الدرزية الملحدة بأمر إمامها الحاكم بأمر الله الفاطمي، وملكت في مصر حتى أباد شوكتهم الملك المجاهد صلاح الدين الأيوبي. انظر في عقائدهم ونشأتهم: الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة (ص ٣٥)، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة (١/ ١٢١)، وهذه مفاهيمنا لشيخنا العلامة صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ (ص ١٠٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٩١): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُهَا دِينَهَا».

فالحمد لله أن الله يقيض لهذا الدين من ينصره، ويدعو إليه، ويبينه للناس، وإن استحكمت الظلمات، ودبت المذاهب المنحرفة إلى المسلمين، فإن الله جَلَّ وَعَلَا يحفظ دينه، ويقيض له من يجدده، ويدعو إليه، ويبينه للناس، هذا من فضل الله وإحسانه - والله الحمد-؛ ولكن الانحرافات غلبت على العالم الإسلامي -إلا من رحم الله عَزَّجَلَّ-، ومن ذلك الانحراف في العقيدة؛ حيث تركوا عقيدة السلف، وأخذوا عقيدة الخلف المبنية على علم المنطق وعلم الكلام، بنوا عليها عقائدهم ومؤلفاتهم، التي يدرسونها، ويدرسونها في مساجدهم ومدارسهم وجامعاتهم.

وهذه المقدمة لابن أبي زيد من النمط الأول، الذي هو على مذهب السلف؛ لأن المؤلف متقدم؛ فهو من القرن الرابع، وكان على عقيدة السلف التي درسها على مشائخه، وتبحر في مذهب الإمام مالك، حتى صار مرجعاً فيه، وصار يسمى مالكا الصغير؛ لأنه يشبه الإمام مالك في إتقانه للمذهب والعقيدة، وهو محل ثقة الناس، ومن مؤلفاته هذه الرسالة، ومقدمتها.

فهي مقدمة ثمينة جداً، وسبب تأليفها مع الرسالة أن مدرس القرآن الذي درسه القرآن طلب منه أن يؤلف رسالة في فقه الإمام مالك، تكون بأيدي الطلاب؛ ليدرّسهم إياها، ويحفظهم إياها، فكتب هذه الرسالة مع مقدمتها؛ استجابة لمعلمه، فهذه الرسالة ومقدمتها صارت بأيدي الناس، وفرحوا بها، وانتشرت، وصارت تدرس للطلبة من حفظة القرآن وغيرهم،

وهذا بركة التحقيق وصلاح النية، وليست العبرة بضخامة المؤلف أو كثرة المجلدات، وإنما العبرة بما في المؤلف من العلم الصحيح، وما في القلب من الإخلاص لله عَزَّجَلَّ، ولو كان المؤلف مختصرًا، فهذه الرسالة ورقات قليلة، ومع هذا نالت هذه الشهرة العظيمة؛ نظرًا لما تتضمنه من التحقيق والعلم الصحيح، ومع سلامة نية مؤلفها وإخلاصه لله عَزَّجَلَّ ونصحه، وهكذا العالم المحقق يجعل الله البركة في علمه، وفي مؤلفاته، ولو كانت صغيرة وقليلة.



نصُّ مُقَدِّمَةِ الرِّسَالَةِ

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي زَيْدٍ الْقَيْرَوَانِيُّ^[١] -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ-:
الْحَمْدُ لِلَّهِ^[٢] الَّذِي ابْتَدَأَ الْإِنْسَانَ بِنِعْمَتِهِ^[٣]،

الشرح

[١] نسبة إلى القيروان بلدة في بلاد المغرب، وقد نشأ بها المؤلف، فنسب إليها.

[٢] افتتح هذه المقدمة بالحمد لله، والثناء عليه على نعمه العظيمة، ومنها: خلق الإنسان، الذي اعتنى الله في خلقه وتصويره؛ لأنه هياؤه لمسؤولية عظيمة من بين المخلوقات، وهي عبادته وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. فخص الله هذا الإنسان بخصائص ليست في بقية المخلوقات؛ بأن سخر له ما في السماوات وما في الأرض؛ ليستعين بذلك على عبادة الله عَزَّوَجَلَّ، فالله جَلَّوَعَلَا خلق الإنسان، وعلمه البيان، ورزقه من أنواع الرزق؛ من أجل أن يقوم بعبادة الله جَلَّوَعَلَا، فالله خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أبا البشرية، وجعله خليفة في الأرض، وعلمه أسماء كل شيء، وفضله على الملائكة بالعلم، حتى اعترفوا بفضله، وأمرهم الله أن يسجدوا له؛ لما امتاز عليهم بالعلم، الذي ليس عند الملائكة، أمرهم بالسجود له؛ سجدود إكرام وتحية، لا سجدود عبادة؛ فسجدود العبادة لا يجوز إلا لله عَزَّوَجَلَّ في جميع الشرائع، وأما سجدود التحية، فكان جائزاً في شرائع الأمم السابقة،

ثم نسخ في شريعة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يسجد للمخلوق؛ لا سجود عبادة، ولا سجود تحية. وسجود يعقوب وبنيه ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ كان سجود تحية، وسجود إكرام، لا سجود عبادة.

[٣] خلق الله آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أبا الإنسانية، فأوجده من عدم - من الطين - على أحسن صورة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، وأعطاه الحواس؛ من السمع، والبصر، والعقل الذي ميزه به من بين المخلوقات؛ ليميز به الضار من النافع، والطيب من الخبيث، والخير من الشر، هذا من خصائص الإنسان؛ لأن الله أكرمه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، وقال: ﴿يَتَأْتِيَ الْإِنْسَانُ مَا عَرَفَ رَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ❁ [الانفطار: ٦-٨].

فعلى هذه الإنسان أن يحمد الله على هذه النعمة العظيمة، ويقوم بشكرها لله عَزَّجَلَّ، ويقوم بما أوجب الله عليه من العبادة لربه عَزَّجَلَّ، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ❁ [الذاريات: ٥٦-٥٧].

وهل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بحاجة إلى العبادة؟ ليس بحاجة إليها، لكن العبد هو الذي بحاجة إلى العبادة؛ من أجل أن تصله بالله، وأما الله جَلَّ وَعَلَا، فهو غني عن العباد، فلو كفروا كلهم، ما نقصوا من ملكه شيئاً، ولو أطاعوه كلهم، ما زاد ذلك في ملكه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى شيئاً، وإنما ضرر هذا أو نفعه راجع إليهم هم، فأمرهم بعبادته؛ ليكرمهم بذلك، وليتصلوا به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى،

ولو كفروا كلهم، ما ضره ذلك، ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَعَنُكُمْ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨]، ولو صلحوا كلهم، ما زاد ذلك في ملكه شيئاً؛ كما في الحديث القدسي؛ أن الله جلَّ وعلا يقول: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالُمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أَطْعِمَكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبَ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفَجَرَ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يُلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»^(١).

من نعمه سبحانه على هذا الإنسان أنه خلقه على أحسن صورة وأحسن تقويم، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض.

(١) أخرجه مسلم (٥٥) (٢٥٧٧) عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغَفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَرَوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّجَلَّ.

فهذه المخترعات من المراكب والاتصالات كلها لخدمة هذا الإنسان، لا ليطغى بها، ويتكبر، ويتجبر، أو يستخدمها في تدمير البشرية؛ وإنما خلقها ليستعين بها على طاعة الله، وعلى نفع خلق الله، ولا يجوز للإنسان صناعة المخترعات المدمرة والأسلحة المهلكة للبشرية، وإنما يصنع الآلات المعينة على عمارة هذا الكون ونفع البشرية.



وَصَوْرَهُ فِي الْأَرْحَامِ بِحِكْمَتِهِ^[١]، وَأَبْرَزَهُ إِلَى رِفْقِهِ^[٢]، وَمَا يَسَرُّهُ لَهُ مِنْ رِزْقِهِ^[٣]، وَعَلَّمَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ^[٤]،

الشرح

[١] كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٦٠]؛ أي: أرحام النساء.

قال تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ [الزمر: ٦]، والظلمات الثلاث هي: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة التي على الطفل، فمن الذي أوصل إليه هذا التدبير في هذه الظلمات؟ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، بواسطة الملك الذي يرسله إلى الجنين وهو في بطن أمه، ويأمره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد^(١).

ومن الذي يمدّه في الحياة وهو في هذه الظلمات؟ من الذي ينميه؟ من الذي يغذيه وهو في هذه الظلمات؟ هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

[٢] أي: أخرجّه من بطن أمه (إِلَى رِفْقِهِ)؛ إلى رفقه به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ورأفته

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٢٠٨، ٣٣٣٢، ٧٤٥٤)، ومسلم (٢٦٤٣): عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عِلَاقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتِبَ رِزْقُهُ، وَأَجَلُهُ، وَعَمَلُهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ...».

ورحمته به؛ حيث سخر له الأبوين، وحننها عليه، وهو لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً؛ فلا يدفع عنها ضرراً، ولا يجلب لها رزقاً.

[٣] قال تعالى: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿[الذاريات: ٥٧-٥٨].

[٤] قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ﴾ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿[الرحمن: ١-٤]، فعلم الإنسان ما لم يعلم.



وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَظِيمًا^[١]، وَنَبَّهَهُ بِأَثَارِ صَنْعَتِهِ^[٢]، وَأَعْذَرَ إِلَيْهِ عَلَى
الْإِسْنَةِ الْمُرْسَلِينَ الْخَيْرَةَ مِنْ خَلْقِهِ^[٣]، فَهَدَى مَنْ وَفَّقَهُ بِفَضْلِهِ^[٤]،

الشرح

[١] قال الله لنبهه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]، فالله هو المعلم للإنسان، وكان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشكر الله، ويقول في دعائه: «لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»^(١).

[٢] أي: نبه الإنسان؛ ليستدل بآياته الكونية على قدرة الله عَزَّجَلَّ؛ حينما ينظر في السماوات، وفي الأرض، وفي النجوم، وفي الجبال، وفي الشجر، وفي البحار والبراري، والحيوانات...، فإن ذلك يدل على عظيم قدرة الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، الذي أوجد هذه المخلوقات العظيمة: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَلْيَلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا سَجْدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ [فصلت: ٣٧].

(١) أخرجه أبو داود (١٤٢٧)، والترمذي (٣٥٦٦)، والنسائي (١٤٤٨)، وابن ماجه (١١٧٩)، وأحمد (١٤٧/٢)، والحاكم (٤٤٧/١)، والبيهقي في الكبرى (٦٠/٣)، والصغرى (٢٨٥/١)، وأبو يعلى (٢٣٧/١) عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ فِي آخِرِ وَتَرِهِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ».

فَالْآيَاتُ تَنْقَسِمُ إِلَى قَسْمَيْنِ:

القسم الأول: آيات كونية، وهي المخلوقات.

القسم الثاني: آيات الوحي، ومنها القرآن الكريم.

[٣] الله لم يكل هذا الإنسان إلى علمه وإلى ما أعطاه من الإدراك، بل أرسل إليه الرسل؛ لتبين له كيف يعبد ربه، وكيف يتصرف على وفق ما شرعه الله عَزَّجَلَّ، فالرسل نعمة من الله عَزَّجَلَّ، وبدون الرسل لا يستطيع الإنسان أن يعرف كيف يعبد ربه -ولو كان فيه محبة للخير-، فالله جَلَّ وَعَلَا أرسل إليه الرسل، وأنزل إليه الكتب؛ ليبين له كيف يعبد ربه، وهذا من رحمة الله عَزَّجَلَّ وعنايته بهذا الإنسان؛ ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، فخير الخلق هم الرسل -عليهم الصلاة والسلام.

[٤] الرسل بينت، والكتب الإلهية بينت، ولكن هداية التوفيق بيد الله؛

فالهداية على قسمين^(١):

(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: (أنواع الهداية أربعة:

أحدها: الهداية العامة المشتركة بين الخلق المذكورة في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]؛ أي: أعطى كل شيء صورته التي لا يشبه فيها غيره، وأعطى كل عضو شكله وهيئته، وأعطى كل موجود خلقه المختص به، ثم هداه إلى ما خلقه له من الأعمال.

النوع الثاني: هداية البيان والدلالة والتعريف لنجدي الخير والشر وطريقي النجاة والهلاك، وهذه الهداية لا تستلزم الهدى التام؛ فإنها سبب وشرط، لا موجب، ولهذا ينبغي الهدى معها؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا نُمُودُ فَهَدَيْتَهُمْ فَاسْتَحَبُّوا أَلْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧]؛ أي بينا لهم وأرشدناهم ودللناهم، فلم يهتدوا، ومنها قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

الأول: هداية الدلالة والإرشاد، وهذه حاصلة لكل أحد؛ لأن الله دل العباد على ما فيه الخير، وأمرهم باتباعه، ودلهم على ما فيه الشر، ونهاهم عن اتباعه.

الثاني: هداية التوفيق، وهي خاصة بالمؤمنين الذين قبلوا الحق، ورغبوا فيه، وعملوا به؛ ولهذا قال جل وعلا: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]؛ أي: لا تهديه هداية التوفيق.

وأما الهداية العامة -هداية الدلالة والإرشاد-، فهي حاصلة لكل أحد، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ [فصلت: ١٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [٢] إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا [الإنسان: ٢-٣]؛ أي: دللناه على الخير والشر، هذه هداية البيان والإرشاد، وهي حاصلة لكل أحد، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

= النوع الثالث: هداية التوفيق والإلهام، وهي الهداية المستلزمة للاهتمام، فلا يتخلف عنها، وهي المذكورة في قوله: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النحل: ٩٣]، وفي قوله: ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ [النحل: ٣٧]...

النوع الرابع: غاية هذه الهداية وهي الهداية إلى الجنة والنار إذا سبق أهلها إليهما، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [يونس: ٩]، وقال أهل الجنة فيها: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ [الأعراف: ٤٣]، وقال تعالى عن أهل النار: ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ [٢٢] مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ [الصافات: ٢٢-٢٣]. انظر: بدائع الفوائد (٢/ ٣٥-٣٧).

فالرسول يهدي -أيضاً-؛ يعني: يبين، ويدل الخلق على الخير، وأما هداية القبول، فهذه من الله عَزَّجَلَّ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]، فالله أثبت للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يهدي، ثم نفى في آية أخرى أنه يهدي، والجمع بين الآيتين: أن تكون الآية الأولى في هداية الدلالة والإرشاد، وتكون الآية الثانية في هداية التوفيق والقبول، وهذه من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.



وَأَضَلَّ مَنْ خَذَلَهُ بَعْدَهُ^[١]،

الشرح

[١] فالذي يقبل الحق، ويرغب فيه؛ فالله يوفقه بفضلته، والذي يعرض عن الحق، ولا يقبله؛ فالله يضله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى بعدله؛ جزاءً له، فهو يهدي من يشاء بفضلته، ويضل من يشاء بعدله، فالذي لا يقبل الحق، يحرمه الله عَزَّجَلَّ، وهذا عدل من الله، وليس ظلمًا؛ لأنه هو الذي لم يقبل الحق، ولا يريد الحق، ويتكبر على الحق، فالله جَلَّوَعَلَا لا يهديه هداية التوفيق؛ جزاء وعقوبة له، وما ظلمه الله جَلَّوَعَلَا، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، وقال: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠].

فالإنسان إذا لم يقبل الحق، ابتلاه الله بالباطل، وإذا لم يقبل الهدى، ابتلاه الله بالضلال.



وَيَسِّرَ الْمُؤْمِنِينَ لِلْيُسْرَى^[١]، وَشَرَحَ صُدُورَهُمْ لِلذِّكْرِ^[٢]، فَأَمَّنُوا بِاللَّهِ
بِالْيُسْرَى نَاطِقِينَ، وَبِقُلُوبِهِمْ مُخْلِصِينَ،

الشرح

[١] قال تعالى: ﴿وَيُسِّرْكَ لِلْيُسْرَى﴾ [الأعلى: ٨]، وقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى
وَأَنْفَقَ﴾ ⑤ ﴿وَصَدَقَ بِالْحَسَنَى﴾ ⑥ ﴿فَسَيُسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل: ٥-٧]؛ فالسبب من عند
العبد: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَأَنْفَقَ﴾ ⑤ ﴿وَصَدَقَ بِالْحَسَنَى﴾، هذا هو السبب الذي من عند
العبد، ﴿فَسَيُسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾؛ هذا هو التوفيق من الله. ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾
⑧ ﴿وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَى﴾ [الليل: ٨-٩]؛ هذا هو السبب من قبل العبد. ﴿فَسَيُسِّرُهُ
لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ١٠]؛ هذه هي العقوبة من الله عَزَّوَجَلَّ؛ حيث لم يقبل الحق، ولم
يعمل الأسباب التي بها يهديه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وفي الحديث: «اعْمَلُوا فِكْلٌ
مُيسِّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»^(١).

[٢] فإذا أراد الله للعبد هداية القبول والتوفيق؛ أي: شرح الله صدره
لقبول الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ؛ كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري (٤٩٤٥)، ومسلم (٧) (٢٦٤٧) عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:
«كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذَاتَ يَوْمٍ جَالِسًا وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُثُ بِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ:
«مَا مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ إِلَّا وَقَدْ عَلِمَ مَنْزِلَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلِمَ نَعْمَلُ؟
أَفَلَا نَنْكُلُ؟ قَالَ: «لَا، اْعْمَلُوا، فِكْلٌ مُيسِّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»، ثُمَّ قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَأَنْفَقَ﴾ ⑤
﴿وَصَدَقَ بِالْحَسَنَى﴾ [الليل: ٦]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَسَيُسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ١٠].

يَشْرَحَ صَدْرُهُ لِلْإِسْلَامِ ❁ [الأَنْعَام: ١٢٥]، فَيَتَقَبَّلُ الْحَقَّ، وَيَرْغَبُ فِيهِ، فَيُوسِعُ اللَّهُ
صدره للإسلام، وهذه إرادة كونية.

❁ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، ❁ هذه إرادة كونية.

❁ يَجْعَلُ صَدْرُهُ ضَيْقًا حَرَجًا ❁؛ فلا يقبل شيئًا، ولا يحب الخير، وينفر
من الخير، وينفر من أهل الخير.

❁ كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ❁ [الأَنْعَام: ١٢٥]؛ من ضيق الصدر

-والعياذ بالله-، فهم يتضايقون من الحق، ومن الدعوة إلى الله، ومن قراءة
القرآن ومن الموعظة ومن التذكير؛ لأن الله ضيق صدورهم بسبب إعراضهم؛
عقوبة لهم، وحرمانًا لهم من الهداية.



وَبِمَا آتَتْهُمْ بِهِ رُسُلُهُ وَكُتِبَ عَلَيْهِمْ [١]، وَتَعَلَّمُوا مَا عَلَّمَهُمْ [٢]، وَوَقَفُوا
عِنْدَ مَا حَدَّ لَهُمْ [٣]، وَاسْتَغْنَوْا بِمَا أَحَلَّ لَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ [٤].

الشرح

[١] هذه نتيجة هداية التوفيق؛ أنهم نطقوا بألستهم بقبول الحق، واعتقدوا بقلوبهم، فلا يكفي النطق باللسان، بل لابد مع النطق باللسان اعتقاد القلب، وأما نطق اللسان بدون اعتقاد القلب، فهذه طريقة المنافقين، وأما المؤمنون، فهم يقبلون الحق (بِالْإِسْتِثْمِ نَاطِقِينَ)؛ بأن يقولوا: آمنا بالله. ويقبلونه (وَبِقُلُوبِهِمْ مُحْلِصِينَ)، فلا بد من النطق باللسان بقبول الحق، ولا بد من الإخلاص في القلب - فلا يكون رياء، ولا سمعة، ولا مصانعة، ولا نفاقاً -، فتتطابق بلسانك، وتصدق بقلبك، وتعمل بجوارحك، هذه حقيقة الإيمان؛ خلافاً للمرجئة^(١) في مذاهبهم الضالة.

[٢] لابد من تعلم الكتاب والسنة، وفهماها على مراد الله ورسوله، أما من أعرض عن العلم، فإنه يحرم من الهداية؛ لأن من أسباب الهداية: تعلم العلم النافع، والعمل به، والإقبال عليه، وهو العلم الذي جاء به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما المعرض عن تعلم العلم، فإنه يحرم الهداية، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣].

(١) المرجئة: قيل: من الإرجاء؛ أي: من التأخير؛ لأنهم أخرخوا العمل عن مسمى الإيمان، وقيل: من الرجاء؛ لأنهم يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية؛ كما لا ينفع مع الكفر طاعة. وهم فرق شتى. انظر: (مقالات الإسلاميين) (ص ١٣٢)، و(الفرق بين الفرق) (ص ١٩٠).

والإعراض عن الحق وعدم الإصغاء إليه وعدم قبوله هو الذي يسبب الضلال والانحراف.

[٣] من صفات أهل السنة والجماعة:

أولاً: أنهم يقفون عند حدود العلم؛ فما علموا، قالوا به، وما يعلموه، توقفوا عنه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]؛ أي: لا تتخرص، ولا تقل على الله ما لا تعلم، بل قف عند حدك، فما علمته من العلم النافع، فتكلم به، وافق به، وما لم تعلمه، توقف عنه، حتى تتعلمه، هذه طريقة أهل الإيمان.

[٤] ثانياً: من صفاتهم أنهم يستغنون بالحلال عن الحرام، وبالطيبات عن الخبائث في مطاعهم وملابسهم ومشاربهم ومناكحهم، فيقتصرون على ما أحل الله لهم، ويتجنبون ما حرم الله عليهم، قال تعالى في وصف الرسول صلى الله عليه وسلم أنه: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].



أَمَّا بَعْدُ: أَعَانَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ عَلَى رِعَايَةِ وَدَائِعِهِ^[١]، وَحِفْظِ مَا أَوْدَعَنَا مِنْ شَرَائِعِهِ. فَإِنَّكَ سَأَلْتَنِي أَنْ أَكْتُبَ لَكَ جُمْلَةً مُخْتَصَرَةً مِنْ وَاجِبِ أُمُورٍ^[٢]

❁ الشَّرْح ❁

[١] الدين وديعة عندك وأمانة عندك، وهو الأوامر والنواهي والحلال والحرام، ودائع وأمانة ائتمنك الله عليها، وهي الأمانة التي عرضها الله على السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها، وأشفقن منها، وحملها الإنسان، فالله عرض هذه الأمانة؛ أي: أمانة التكليف والأوامر والنواهي؛ عرضها على السماوات والأرض والجبال -عرض تخيير، لا عرض إلزام-، فأثرت السلامة على الغنيمة، ﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾؛ خفن من تحملها، ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]. وآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وذريته آثروا الغنيمة على السلامة؛ لجهل الإنسان؛ أي: جنس الإنسان وظلمه؛ ولهذا قال في الآية التي بعدها: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الأحزاب: ٧٣].

فبنو الإنسان أمام هذه الأمانة على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من تحملها ظاهراً وباطناً، وهم المؤمنون والمؤمنات.

القسم الثاني: من أبى تحملها، ورفضها ظاهراً وباطناً، وهم المشركون والمشركات.

والقسم الثالث: من تحملها ظاهراً، وضيعها باطناً، وهم المنافقون والمنافقات.

[٢] يخاطب المؤلف معلمه الذي يعلمه القرآن، وهذا فيه بيان سبب تأليف هذه الرسالة ومقدمتها، فالرسالة في فقه مذهب الإمام مالك، والمقدمة في بيان العقيدة الصحيحة، فهو يذكر أن سبب تأليفه: أن مدرسه لما رأى من نجابته وذكائه وإمامه بمذهب الإمام مالك؛ طلب منه أن يؤلف مختصرًا في الفقه على مذهب الإمام مالك؛ ليلقنه للطلاب الذين يدرسون عنده؛ لأجل أن يجمعوا بين حفظ القرآن وحفظ العقيدة والفقه في الدين، وهكذا كانت طريقة السلف الصالح؛ أنهم يلقنون الأولاد من الصغر، ويعلمونهم العقيدة والفقه؛ حتى ينشؤوا على ذلك؛ لأن الصغير أحفظ لما يلقي إليه أكثر من الكبير، فالكبير ينسى، أما الصغير، فإنه ينتقش العلم في ذهنه؛ ولهذا يقولون: (العلم في الصغر كالنقش في الحجر)، فهم يحرصون على تعليم الصغار؛ لأجل أن يترسخ ذلك في أذهانهم، ويثبت فيها، وينشؤوا عليه.

وهكذا ينبغي للمسلمين في عموم الأوقات أن يعتنوا بصغارهم، ويلقنهم العقيدة والفقه؛ بخلاف ما ينادي به التربويون الغربيون اليوم من قولهم: (إن الصغار لا يذكر لهم شيء من أمور الدين؛ لأنهم لا يتحملون ذلك)، فهذه مكيدة لأجل أن ينشأ أولاد المسلمين على الجهل بدينهم وعقيدتهم؛ فينبغي التنبه لهذا، وكان المسلمون إلى عهد قريب في المدارس الابتدائية تقرر فيها المختصرات في الفنون، ويحفظها الطلاب الصغار، وتشرح لهم، إلى أن جاءت التربية الحديثة، وتولى التغريبيون التعليم، فمسحوا منهاج التعليم، وجعلوها اسمًا بلا مسمى، مفرغة من مضمونها، فعندهم اسم العقيدة، واسم الحديث، واسم الفقه، أسماء مجردة، وليس فيها شيء، فهذا من الغش في تعليم أولاد المسلمين؛ حتى ينشؤوا جهلة بدينهم وعقيدتهم.

الدِّيَانَةِ مِمَّا تَنْطِقُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَتَعْتَقِدُهُ الْقُلُوبُ، وَتَعْمَلُهُ الْجَوَارِحُ^[١]،

الشرح

[١] العقيدة ثلاثة أركان: قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح. لا يكفي واحد منها أو اثنان فقط، بل لابد من هذه الثلاثة.

وقد أجمل المؤلف ما تشتمل عليه هذه الرسالة ومقدمتها؛ من بيان العقيدة، وأقسام العبادات؛ من واجبات، ومستحبات، وآداب عامة، وأصول الفقه؛ لينشأ الصبيان على معرفة الإيمان وحقيقته على شكل (جُمْلَة مُحْتَصَرَة)، فينبغي أن يلحق الصغار المتون المختصرة؛ لأنها مدخل إلى العلوم، فهي الأصول؛ ولهذا يقولون: (من حرم الأصول حرم الوصول)، والأصول هي: المختصرات. من حرم منها، حرم الوصول إلى العلم النافع.

فالمبتدئ -صغيراً كان أو كبيراً- لا يُبتدأ له بالمجاميع الكبار من مجاميع العلم؛ فيقرأ في البخاري، وفي مسلم، وفي المغني، وفي كتاب سيبويه، بل المبتدئ يُتدرج معه في العلم شيئاً فشيئاً، أما أن تأتيه بالمطولات والمفصلات، فهذا تعب بلا فائدة، ولا يأخذ من العلم شيئاً؛ لأنه يسير على غير طريق التربية الصحيحة، وأتى العلم من غير بابه، قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١٨٩].

فالمبتدئون يلقنون الواجبات فقط، ولا يؤتى لهم بالتفريعات والتفصيلات، وإنما يلقنون الواجب من أمور دينهم؛ فإذا ما تجاوزوا مرحلة البداية، فإنه يتوسع معهم في التعليم، وهو ما يسمى بالتخصص، فيبين لهم الأقوال والأدلة والترجيحات، بعدما يدخلون من باب العلم، ويحصلون على المبادئ، فيتدرج معهم شيئاً فشيئاً: من الكتب المختصرة، إلى الكتب المتوسطة، إلى الكتب المطولة، هكذا يكون تعليم العلم، وهذه طريقة التربية الصحيحة.



وَمَا يَتَّصِلُ بِالْوَاجِبِ مِنْ ذَلِكَ^[١]؛ مِنَ السَّنَنِ^[٢] مِنْ مُؤَكَّدِهَا وَنَوَافِلِهَا
وَرَغَائِبِهَا^[٣]، وَشَيْءٍ مِنَ الْأَدَابِ مِنْهَا^[٤]،

❁ الشرح ❁

[١] الطاعات تنقسم إلى: واجبات، ومستحبات.

[٢] السنة إذا أطلقت يراد بها: ما ثبت عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من عقيدة وعبادة، وتطلق العقيدة، ويقال لكتبها: «كتب السنة»؛ ككتاب «السنة» لعبد الله ابن الإمام أحمد، وكتاب «السنة» لابن أبي عاصم، وكذلك تسمى «كتب الإيمان»، مثل كتاب «الإيمان» لابن منده وغيره.

وأما السنة في اصطلاح المحدثين، فهي: ما ورد عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة^(١).

[٣] السنن بهذا المعنى العام تختلف؛ منها ما هو واجب، ومنها ما هو مستحب، والمستحب منه ما هو مؤكد، ومنه ما هو دون ذلك؛ مثل: الرواتب التي مع الفرائض، ومثل: صلاة الوتر، وصلاة الضحى، وسنن مقيدة بأوقات؛ مثل: دخول المسجد، وصلاة الضحى، وسنن مطلقة في جميع الأوقات ما عدا أوقات النهي.

[٤] أي: من السنة ما هو من الآداب العامة.



(١) انظر: أصول السرخسي (١/ ١١٣)، وإرشاد الفحول (ص ٦٧)، وفتح المغيث للسخاوي (٢٥ / ١)، وتدريب الراوي للسيوطي (١ / ٤١).

وَجُمِلَ مِنْ أَصُولِ الْفَقْهِ وَفُنُونِهِ^[١] عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رَحِمَهُ
اللَّهُ تَعَالَى^[٢] وَطَرِيقَتِهِ^[٣]،

الشرح

[١] المراد بأصول الفقه: قواعد الاستنباط من الأدلة، وبيان الأحكام من حلال والحرام والواجب، والمستحب، والمكروه، والمباح.

وأما قواعد الاستنباط من الأدلة: فالأمر للوجوب، أو الاستحباب، أو الإباحة، والنهي يكون للتحريم، أو للكرهية.

[٢] مالك بن أنس عالم المدينة، وإمام دار الهجرة، ومذهبه أحد المذاهب الأربعة، والمؤلف مالكي المذهب، ولذلك جعل هذه الرسالة على مذهب المالكية، هذا من جهة الفقه، وأما العقيدة، فعقيدة الأئمة الأربعة واحدة هي عقيدة السلف، لا اختلاف بينهم فيها.

ومذهب الإمام مالك بن أنس انتشر في المغرب والأندلس، وأفريقيا، وهو مذهب أهل المدينة.

[٣] هذا ليس تحيزاً للإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ دون غيره من الأئمة، ولكن لأن أهل المغرب - والمؤلف منهم - وهم على مذهب مالك، ناسب أن يبين لهم مذهب مالك في العقيدة وغيرها على مذهب مالك.



مَعَ مَا سَهَّلَ سَبِيلَ مَا أَشْكَلَ مِنْ ذَلِكَ مِنْ تَفْسِيرِ الرَّاسِخِينَ وَبَيَانِ
الْمُتَفَقِّهِينَ^[١]؛ لِمَا رَغِبْتَ فِيهِ^[٢] مِنْ تَعْلِيمِ ذَلِكَ لِلْوِلْدَانِ؛ كَمَا تُعَلِّمُهُمْ حُرُوفَ
الْقُرْآنِ^[٣]؛ لِيَسْقَى إِلَى قُلُوبِهِمْ مِنْ فَهْمِ دِينِ اللَّهِ وَشَرَائِعِهِ^[٤]

الشرح

[١] هذا المختصر سهل، ليس فيه تعقيد يصعب على الصغار وطلاب العلم فهمه، بل يكون ميسراً وواضحاً، وهكذا طريقة أهل العلم السابقين، تجد مؤلفاتهم سهلة، فالعلم يجب أن يسهل بيانه، ولا يعقد على طلبة العلم مهما أمكن ذلك.

[٢] يخاطب معلمه بأنه أجاب طلبه في تأليف هذه الرسالة ومقدمتها، فقد طلب منه أن يؤلف هذا المختصر؛ ليلقنه للولدان الصغار الذين يدرسهم القرآن، فيكون تعليمهم شاملاً للقرآن وللغة، وهذا من أحسن طرق التعليم؛ أن تراعى فيه المداك بالتدرج بالمتعلم من صغار المسائل ومبادئ العلوم ومختصراتها.

[٣] فكما أنهم يعلمون القرآن يعلمون الفقه؛ ليجمع بين تعليم القرآن وتعليم الفقه والعقيدة، هذا أحسن طرق التعليم وأتم طرق التربية.

[٤] أي: ليفهموا دين الله وهم صغار، فلا يقال: (اصبروا عليهم حتى يكبروا)، فينبغي أن يستغل وقتهم وسنهم، وتدرس لهم أمور الدين، وأمور العقيدة والفقه، أما إذا كبروا؛ انشغلوا، وانصرفوا عن تعلم العلم،

فالصغير ليس مثل الكبير، الصغير أقبل للتعليم، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يعلم الصغار كما يعلم الكبار، يقول لعبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وكان طفلاً صغيراً -: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»^(١).

وكذا قال لعمر بن أبي سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وكان ربيباً عنده - عندما جلس ليأكل، كانت يده تطيش في الصحيفة، فقال له: «يَا غُلَامُ سَمَّ اللَّهُ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ»^(٢)؛ يعلمه آداب الأكل: أن يسمي الله، ويأكل بيمينه، ويأكل مما يليه، لا مما يلي غيره ممن بجانبه، فيعلم الأطفال؛ لأنهم أقبل للتعليم من الكبار.



وَشَرَائِعِهِ مَا تُرْجَى لَهُمْ بَرَكَتُهُ وَتُحْمَدُ لَهُمْ عَاقِبَتُهُ^[١]، فَأَجَبْتُكَ إِلَى ذَلِكَ؛ لِمَا رَجَوْتُهُ لِنَفْسِي وَلَكَ مِنْ ثَوَابٍ مَنْ عَلَّمَ دِينَ اللَّهِ أَوْ دَعَا إِلَيْهِ^[٢].
وَاعْلَمْ أَنَّ خَيْرَ الْقُلُوبِ أَوْعَاها لِلْخَيْرِ^[٣]،

الشرح

[١] ولأنهم إذا تعلموا وهم صغار، صار العلم مبارکًا عليهم، وأثر فيههم أكثر من الكبار؛ لأنه نشأ معهم، وانغرس في قلوبهم وأذهانهم؛ ولذلك تجدد الأولاد الذين ينشؤون على الصلاة وعلى معرفة أحكام عقيدتهم ودينهم، تجددهم أحسن الشباب إذا كبروا، ولكن إذا تركوا، وأهملوا، صعبت على والديهم تربيتهم؛ كما قال الشاعر^(١):

إِنَّ الْغُصُونَ إِذَا قَوَّمَتَهَا اعْتَدَلَتْ وَلَا يَلِينُ إِذَا قَوَّمَتَهُ الْخَشَبُ

فبادر الطفل وهو غض؛ ليتمكن تعديله، أما إذا كبر، فلا تقدر أن تعدله.

[٢] يقول لشيخه ومعلمه: أجبتك إلى ما طلبت، وألفت هذه الرسالة ومقدمتها؛ رجاء الثواب من الله لي ولك؛ لأن من دل على الخير فهو كفاعله، ومعلمه يشترك معه في الثواب؛ لأنه هو الذي علمه ذلك، ووجهه إليه.

[٣] القلوب التي تتنبه للتعليم النافع هي خير القلوب، أما القلب القاسي والقلب الذي لا يقبل التعليم، فهذا محروم.

(١) انظر: الأمثال لابن سلام (١/١٢١)، والبيان والتبيين (٢/١٦١)، وجمهرة الأمثال (٢/٢٨٠)، والتمثيل والمحاضرة (١/١٦٤).

وَأَرْجَى الْقُلُوبَ لِلْخَيْرِ مَا لَمْ يَسْبِقِ الشَّرُّ إِلَيْهِ^[١]، وَأَوَّلَى مَا عُنِيَ بِهِ النَّاصِحُونَ
وَرَغَبَ فِي أَجْرِهِ الرَّاغِبُونَ إِيصَالَ الْخَيْرِ إِلَى قُلُوبِ أَوْلَادِ الْمُؤْمِنِينَ^[٢]؛

الشرح

[١] أي: أرجى القلوب للخير ما كان خالياً من الشر الذي لم يوجه توجيهاً سيئاً، وفي وقتنا الحاضر الذي لم ينشغل بهذه المحدثات، وهذه الآليات التي تجلب الشر من الإذاعات والتلفزيون والإنترنت، وغير ذلك من البلاء الذي انفتح على الناس، وصار بيد الطفل والطفلة، وبيد كل أحد، فهذه وسائل شر سبقت إلى قلوب الشباب، ولا يمكن بعد ذلك صرف الشباب عنها، ولكن لو منعت منها في الأول، صارت قلوبهم قابلة للخير، خالية من الشر، فيجب ملؤها بالخير وإبعادها عن الشر، قال الشاعر^(١):

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى فَصَادَفَ قَلْبًا فَارِعًا فَتَمَكَّنَا

فيجب التنبه لهذه الأمور.

والمصيبة أن يسبق الشر إلى القلب؛ فيصعب انتزاعه من القلب، فاحفظ أولادك، واحفظ طلابك من وسائل الشر، وما أكثرها اليوم! وما أقل وسائل الخير!

(١) هذا البيت نسب لأكثر من شاعر؛ فقد نسه الجاحظ لمجنون بني عامر في «البيان والتبيين» (٢/ ٢٩)، وفي «الحيوان» (١/ ١١١)، ونسبه ابن قتيبة لعمر بن أبي ربيعة في «عيون الأخبار» (٣/ ١٣)، ونسبه الراغب الأصفهاني لابن الظثرية في «محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء» (٢/ ٥٥)، ونسبه المستعصمي لديك الجن في «الدر الفريد وبيت القصيد» (١/ ٣٧٦).

فالخطر شديد الآن على شباب وشابات المسلمين؛ لأن وسائل الشر قد انتشرت، وصارت بأيديهم.

[٢] أولى ما يعلمه الناصحون والمعلمون والدعاة إلى الله: أن يعتنوا بشباب المسلمين، ويوجهوهم الوجهة السليمة، ويبعدوا عنهم المشاحنات والحزبيات، ومدح فلان وذم فلان، فيبعدون عنهم هذه الأمور، التي شغلت أكثر الشباب اليوم: ماذا تقول في فلان؟ وهل أنت من تلاميذ فلان؟ هذا شغلهم الآن.

وهذا لا يصلح -يا عباد الله-، فيجب أن يخلص المعلمون في تعليم طلابهم، ويبعدوهم عن هذه المشاحنات والفتن والاختلافات، ويلزموهم طريقاً واحداً، وهو طريق أهل العلم، وطريق السلف الصالح، وينشئوهم عليه، هذا هو الواجب على المعلم الذي يعلم التعليم النافع، أما الذي يعلم الطلاب هذه الأمور؛ فهذا يفتنهم، وما أكثر من يقومون بهذا في المدارس وفي غيرها! تجدهمهم: ماذا تقول في فلان؟ احذر من فلان، لا تجلس مع فلان. ويترك شرح المقرر الموكول إليه شرحه؛ ليعرف الطالب الطريق الصحيح من غيره وذلك: (إِيصَالُ الْخَيْرِ إِلَى قُلُوبِ أَوْلَادِ الْمُؤْمِنِينَ)، هكذا يجب أن يكون المعلم والداعية إلى الله؛ يكون قصده إيصال الخير إلى قلوب المؤمنين وأبناء المسلمين، ولا يشغلهم بالخلافات مما هو منتشر اليوم في شباب المسلمين -ولا حول ولا قوة إلا بالله!

فيجب الاهتمام بأولاد المؤمنين الصغار؛ بأن يوجهوا الوجهة السليمة، الوجهة الواحدة؛ وجهة الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة.

لِيُرْسَخَ فِيهَا^[١]، وَتَنْبِيَهُهُمْ عَلَى مَعَالِمِ الدِّيَانَةِ وَحُدُودِ الشَّرِيعَةِ؛ لِيُرَاضُوا
عَلَيْهَا^[٢]، وَمَا عَلَيْهِمْ أَنْ تَعْتَقِدَهُ مِنَ الدِّينِ قُلُوبُهُمْ^[٣]،

الشرح

[١] الصغار يرسخ العلم في قلوبهم، وهذا شيء مجرب، فما تعلمناه في
الصغر نتذكره الآن، وما نقرؤه الآن يطير بسرعة، ولا يستقر؛ لأن الكبير
ليس كالصغير.

[٢] فطرق الديانة الصحيحة ما كان على الكتاب والسنة؛ لأن الديانات
كثيرة، ولكن الديانات الصحيحة هي ما كانت على الكتاب والسنة وما عليه
سلف هذه الأمة، فمرسخ هذا في قلوبهم، ونحفظهم هذه الأصول؛ لينشؤوا
عليها، ويسيروا عليها إذا كبروا، فتراض النفوس على الخير؛ كما تراض
الأبدان بأنواع الرياضة والمشي وغير ذلك.

[٣] أي: يعلم الصغار ما يجب عليهم أن تعتقده قلوبهم من عقيدة أهل
السنة والجماعة المبنية على كتاب الله وسنة رسوله، لا من قول فلان وعلان،
وعلم المنطق، وعلم الكلام، والهديان؛ بل التعليم يكون من كتاب الله ومن
سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا سهل - بإذن الله -، وفيه نور وبركة وخير،
أما علم المنطق وعلم الكلام والجدل، فهذا يُظلم القلوب، والذين تخصصوا

فيه لم يحصلوا على خير، بل إنهم في آخر حياتهم تمنوا أنهم لم يشتغلوا فيه، وأنهم أخذوا بعلم السلف؛ كما ذكر هذا في سيرهم وتاريخهم^(١).



(١) مثل قول الجويني عند وفاته: (لَقَدْ خُضْتُ الْبَحْرَ الْخِصْمَ، وَتَرَكْتُ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَعُلُومَهُمْ، وَخُضْتُ فِي الَّذِي يَهْوِي عَنْهُ، وَالْآنَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُنِي رَبِّي بِرَحْمَةٍ مِنْهُ فَالْوَيْلُ لِفُلَانٍ، وَهَذَا أَنَا ذَا أُمُوتُ عَلَى عَقِيدَةِ أُمِّي).

وقول الرازي: (لَقَدْ تَأَمَّلْتُ الطَّرِيقَ الْكَلَامِيَّةَ وَالْمَنَاهِجَ الْفَلَسَفِيَّةَ فَمَا رَأَيْتُهَا تَشْفِي عَالِيًا وَلَا تَزَوِي غَلِيًّا وَرَأَيْتُ أَقْرَبَ الطَّرِيقَ طَرِيقَةَ الْقُرْآنِ: أَقْرَأُ فِي الْإِنْبَاتِ ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، وَأَقْرَأُ فِي النَّفْيِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾، ثُمَّ قَالَ: وَمَنْ جَرَّبَ مِثْلَ تَجَرُّبِي عَرَفَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي، وَكَانَ يَتِمَثَّلُ كَثِيرًا:

وَأَكْثَرُ سَفْيِ الْعَالَمِينَ ضَلَالٌ	نَهَايَةُ إِفْسَادِ الْعُقُولِ عَقَالٌ
وَعَايَةُ دُنْيَانَا أَذَى وَوَبَالٌ	وَأَزْوَاحُنَا فِي وَخْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا
سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِيلَ وَقَالُوا	وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طَوْلَ عُمْرِنَا

انظر: مجموع الفتاوى (٧٢ / ٤ - ٧٣).

وَتَعْمَلْ بِهِ جَوَارِحُهُمْ^[١]، فَإِنَّهُ رُوِيَ أَنَّ تَعْلِيمَ الصَّغَارِ لِكِتَابِ اللَّهِ يُطْفِئُ غَضَبَ اللَّهِ^[٢]، وَأَنَّ تَعْلِيمَ الشَّيْءِ فِي الصَّغَرِ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ. وَقَدْ مَثَلْتُ لَكَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَنْتَفِعُونَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - بِحِفْظِهِ^[٣]، وَيَشْرَفُونَ بِعِلْمِهِ، وَيَسْعَدُونَ بِاعْتِقَادِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ.

الشرح

[١] العمل: عمل القلوب أولاً، ثم عمل الجوارح؛ فالعمل على قسمين:

عمل القلوب؛ من خشية الله، والخوف منه، والرغبة إليه، ومحبة الله. وعمل الجوارح تابع لعمل القلوب؛ كالصلاة، والصيام، والحج، والجهاد.

[٢] قوله: (فَإِنَّهُ رُوِيَ)؛ أي: عن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أَنَّ تَعْلِيمَ الصَّغَارِ لِكِتَابِ اللَّهِ يُطْفِئُ غَضَبَ اللَّهِ)، وكلمة (رُوِيَ) تدل على التضعيف، فهو حديث ضعيف، لكن معناه صحيح؛ فالله يرضى أن نعلم صغارنا القرآن.

وهذه المقدمة تربوية، تتضمن قواعد التربية الصحيحة، لا التربية الغربية التي ينادي بها العلمانيون الآن.

[٣] يقول لشيخه: (وَقَدْ مَثَلْتُ لَكَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَنْتَفِعُونَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - بِحِفْظِهِ)؛ يعني: ذكرت في هذه الرسالة وفي مقدمتها ما إذا حفظه الطلاب

وفهموه، فإنهم ينتفعون به، وينالون به شرف العلم والعمل والسعادة، إذا اعتقدوه وعملوا بموجبه؛ بخلاف كتب العقائد الفارغة من بيان اعتقاد السلف؛ كعقائد المتكلمين المتكلفين.



وَقَدْ جَاءَ أَنْ يُؤْمَرُوا بِالصَّلَاةِ لِسَبْعِ سِنِينَ^[١]، وَيُضْرَبُوا عَلَيْهَا عَشْرٌ،
وَيُفَرَّقَ بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ^(١)، فَكَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يُعَلَّمُوا مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى
الْعِبَادِ^[٢]

الشرح

[١] قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ» - أي: الصغار -؛ مجرد

أمر.

«وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ»؛ لأن ابن سبع مَيَّز وعرف.

«وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ»؛ أي: إذا تكاسلوا عنها، وهم في

سن العاشرة؛ لأنه حينئذ إما مراهق، وإما قد بلغ الحلم، فيضرب عليها، أما
الطفل الصغير إذا ترك الصلاة، فلا يضرب؛ لأنها لا تجب عليه، ولكن يربى
عليها.

ثم قال: «وَفَرَّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»؛ أي: فلا تتركوهم ينام بعضهم

إلى جنب بعض؛ خشية الافتتان وديب الشهوة بينهم، والشيطان يزين لهم
ذلك؛ ذكوراً وإناثاً، فالذكور مع الذكور لا يتركون ينام بعضهم إلى جانب

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٥)، وأحمد (٢٨٤/١١)، والحاكم (٣١١/١)، والدارقطني

(١/٤٣٠) عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرَّقُوا

بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ».

بعض، فلا تترك البنت تنام مع البنت، ولا الذكر مع البنت مباشرة، فيفرق بينهم في المضاجع؛ خشية الفتنة، فالأولاد يلاحظون، ولا يهملون.

فهذه ثلاث مسائل مهمة:

المسألة الأولى: يؤمرون بالصلاة، مجرد أمر؛ لأجل أن يعتادوها، وتكون لهم نافلة، وإذا تركوها، لا يضربون؛ لأنهم لم يتركوا واجباً في حقهم، ومن لازم أمرهم بالصلاة أمرهم بالوضوء وتعليمهم إياه.

المسألة الثانية: إذا بلغوا العشر، فإنهم يضربون على تركها؛ لأنهم إما أن يكونوا قد بلغوا، أو يكونوا قاربوا البلوغ، فيعاقبون إذا تركوا الواجب.

المسألة الثالثة: وإذا بلغوا العشر -أيضاً-، يخشى عليهم من الشهوة، فيفرق بينهم في المضاجع، وهذا من أدلة منع الاختلاط بين الذكور والإناث.

[٢] يعني: لا يقتصر على أمرهم بالصلاة، وعلى التفريق بينهم في المضاجع، وضرب من ترك الواجب منهم، بل يعلمون -أيضاً- بقية أمور الدين؛ من الحلال والحرام، والأخلاق الطيبة والأخلاق السيئة، بطريقة مختصرة، فيعطون نماذج من أمور الدين والآداب والأخلاق؛ فينهون عن القول المحرم، وعن الشتم والسباب، والغيبة والنميمة، وكذلك عن الفعل المحرم؛ كالسرقة، وأخذ أموال الناس، والخيانة، فيربون على الاستقامة في دينهم ودنياهم وأخلاقهم وتعاملهم.



مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ قَبْلَ بُلُوغِهِمْ؛ لِيَأْتِيَ عَلَيْهِمُ الْبُلُوغُ وَقَدْ تَمَكَّنَ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَسَكَنَتْ إِلَيْهِ أَنْفُسُهُمْ، وَأَنْسَتْ بِمَا يَعْمَلُونَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ جَوَارِحُهُمْ^[١].
وَقَدْ فَرَضَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى الْقَلْبِ عَمَلًا مِنَ الْإِعْتِقَادَاتِ^[٢]،

الشرح

[١] هذه النتيجة من تربية الذين دون البلوغ؛ أنهم إذا بلغوا وهم قد ربوا على هذه الفضائل، سهل قيادهم، واستمروا على هذه المعلومات القيمة، ونمت عندهم وزادت؛ لأنهم مثل الغرس، فالغرس ينمو شيئاً فشيئاً، ويكبر، ويثمر فيما بعد. هذه هي التربية الصحيحة، فنحن نأخذ أصول تربيتنا من ديننا؛ لا نأخذها من الغرب ومن تربية الغرب؛ لأنها لا خير فيها.

[٢] فقد فرض الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على اللسان الأذكار الشرعية وتلاوة القرآن، فهذا عمل اللسان، وفرض على القلب العمل -أيضاً-، فالقلب له عمل، وهو خشية الله، ومحبته، والتوكل عليه، والإنابة إليه، فهذه أعمال قلبية، وكذلك فرض على الجوارح -وهي الأعضاء- أعمالاً تؤديها، وهي الأعمال الظاهرة؛ من الركوع والسجود والجهاد في سبيل الله.

عمل القلب: الاعتقادات، وهي الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ، والخوف، والخشية، والرغبة، والرغبة، والرجاء، والمحبة، إلى غير ذلك.



وَعَلَى الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ عَمَلًا مِنَ الطَّاعَاتِ^[١].
وَسَأْفُصِّلُ لَكَ مَا شَرَطْتُ لَكَ ذِكْرَهُ بَابًا بَابًا^[٢]؛ لِيَقْرُبَ مِنْ فَهْمٍ مُتَعَلِّمِيهِ،
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَإِيَّاهُ نَسْتَخِيرُ، وَبِهِ نَسْتَعِينُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ
الْعَظِيمِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا^[٣].

الشرح

[١] الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ لم يذكر أعمال اللسان من الأذكار؛ لأنها داخلة في أعمال الجوارح؛ لأن اللسان جارحة من الجوارح، فهذه الأعضاء تكسب صاحبها إما خيراً، وإما شراً؛ فلذلك سميت الجوارح، من الاجترّاح، وهو الاكتساب، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ [الجاثية: ٢١]، فعمل الجوارح هو ما يظهر من حركاتها وسكناتها وتصرفاتها؛ إما في الخير وإما في الشر، فالإنسان إذا تأملت كفه، تجده يشغل ظاهراً وباطناً؛ لا يبقى شيء منه معطلاً، وعمله راجع إليه، إن كان صالحاً، رجع عليه بالخير، وإن كان سيئاً، رجع عليه بالخسارة.

[٢] يخاطب معلمه ومدرسه الذي طلب منه أن يؤلف هذه الرسالة بمقدمتها النافعة المفيدة.

[٣] يذكر أن تقسيم الكتاب إلى أبواب مما يعين المتعلم والقارئ على فهمه شيئاً فشيئاً؛ لأنه لو سرد من دون تبويب، لشق ذلك على من يراجع، ثم طلب من الله الخيرة والإعانة، وتبرأ من الحول والقوة، ونسب ذلك إلى الله عَزَّجَلَّ، وختم بالصلاة والسلام على النبي محمد وعلى آله وصحابه الكرام، ثم دخل في التفاصيل، فقال:

بَابُ مَا تَنْطِقُ بِهِ الْأَلْسَنَةُ وَتَعْتَقِدُهُ الْأَفئِدَةُ

مَنْ وَاجِبُ أُمُورِ الدِّيَانَاتِ ^[١]

مِنْ ذَلِكَ: الْإِيْمَانُ بِالْقَلْبِ وَالنُّطْقُ بِاللِّسَانِ ^[٢] أَنَّ اللَّهَ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ^[٣]،

الشرح

[١] لأنه لا بد من النطق بالحق مع اعتقاده بالقلب؛ لأنه ليس المقصود النطق باللسان فقط، بل لا بد مع النطق من الاعتقاد؛ كما لا يكفي الاعتقاد بدون نطق، بل لا بد من الأمرين.

[٢] فإذا قلت: «لا إله إلا الله»، فقد نطقت بها بلسانك، ولكن لا بد أن تعتقد معناها ومدلولها في قلبك، ولا بد أن تعمل بمقتضاها في جوارحك، فهي ليست كلمة تقال باللسان فقط، وإنما هي كلمة عظيمة لها مقتضى، ولها معنى، فلا بد أن تعرف هذا، ف«لا إله إلا الله» كلمة عظيمة، هي عنوان الإسلام، وعنوان الإيمان، فهي كلمة تحتاج إلى عناية، وتحتاج إلى فهم.

[٣] الإله: هو المألوه المعبود بحق أو بباطل، فالمعبود يسمى إلهًا، والمعبود بحق هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَحْدَهُ ^(١)، وكل ما سوى الله من الآلهة من

(١) انظر: لسان العرب (١٣/ ٤٦٧)، ومختار الصحاح (ص ٩)، والمصباح المنير (ص ١٩). قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ (٢٤/ ٨١) عند تفسير (لا إله إلا هو)، يقول: (لا معبود بحق تجوز عبادته وتصلح الألوهية له إلا الله الذي هذه الصفات صفاته، فادعوه أيها الناس مخلصين له الدين). اهـ. وقال الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ في فتح القدير (١/ ٢٧١) في تفسير قوله تعالى: =

الأصنام والأشجار والأحجار والقبور آلهة باطلة؛ ولهذا تفسر «لا إله إلا الله» بأنها: لا معبود بحق إلا الله، ولا يكفي أن تقول: (معناها: لا معبود إلا الله)؛ فهذا باطل؛ لأنه يدخل فيه المعبودات كلها تكون هي الله، وهذا مذهب أهل وحدة الوجود^(١)، الذين يقولون: (كل معبود وكل صنم هو الله)، تعالى الله عما يقولون! فلا بد أن تقيد، فيقال: (لا معبود حق إلا الله)، أو (لا معبود بحق إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى)؛ ليخرج المعبود بالباطل، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

فالله إله واحد، (لَا إِلَهَ غَيْرُهُ)؛ يعني: لا إله حق إلا هو، وما سواه، فهي آلهة باطلة، فأنت إذا قلت: «لا إله إلا الله»، أثبت حقيقة عبادة الله، وأبطلت عبادة غيره بهذه الكلمة؛ فهي كلمة تجمع بين النفي والإثبات: نفي العبادة عما سوى الله، وإثباتها لله وحده لا شريك له.

= (لا إله إلا هو): (أي لا معبود بحق إلا هو وهذه الجملة خبر المبتدأ). اهـ. انظر: الدر المنصون (٢٣/١)، والبحر المحيط (٢٧/١)، والتحرير والتنوير (١٦٣/١)، وتفسير ابن كثير (١٢٢/١).

(١) هم الذين يقولون بوحدة الوجود، مذهبهم الذي هم عليه: أَنَّ الْوُجُودَ وَاحِدٌ؛ وَيُسَمَّوْنَ أَهْلَ وَحْدَةِ الْوُجُودِ وَيَدْعَوْنَ التَّحْقِيقَ وَالْعِرْفَانَ وَهُمْ يَجْعَلُونَ وُجُودَ الْخَالِقِ عَيْنَ وُجُودِ الْمَخْلُوقَاتِ فَكُلُّ مَا يَتَّصِفُ بِهِ الْمَخْلُوقَاتُ مِنْ حَسَنٍ وَبِجِبِّحٍ وَمَذَمٍّ وَذَمٍّ إِنَّمَا الْمُنْتَصِفُ بِهِ عِنْدَهُمْ: عَيْنُ الْخَالِقِ وَلَيْسَ لِلْخَالِقِ عِنْدَهُمْ وُجُودٌ مُبَايِنٌ لُؤُجُودِ الْمَخْلُوقَاتِ مُنْفَصِلٌ عَنْهَا أَصْلًا؛ بَلْ عِنْدَهُمْ مَا تَمَّ غَيْرُ أَصْلًا لِلْخَالِقِ وَلَا سِوَاهُ. وَمِنْ كَلِمَاتِهِمْ: لَيْسَ إِلَّا اللَّهُ. فَعِبَادُ الْأَصْنَامِ لَمْ يَعْبُدُوا غَيْرَهُ عِنْدَهُمْ لِأَنَّهُ مَا عِنْدَهُمْ لَهُ غَيْرٌ. انظر: أمراض القلوب وشفائها (٦٤/١)، والفتاوى الكبرى (١٢٢-١٢٣)، والفرقان (١١٣/١)، ودراء التعارض (١٢٥/٧)، ومجموع الفتاوى (١٢١-١٢٦).

وَلَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ^[١]، وَلَا وَلَدَ لَهُ، وَلَا وَالِدَ لَهُ^[٢]

الشرح

[١] كما أن الله جَلَّوَعَلَا لا معبود بحق إلا هو، وما عبد من دونه، فهو باطل؛ وذلك أنه لا شبيه له، ولا نظير له، فيقاس به، أو يسوى به، فيعبد معه، قال جَلَّوَعَلَا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

وقال: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، فتشبهونه بغيره.

وقال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، والسمي هو المشابه له؛ أي: لا شبيه له، ولا تعلم من يستحق العبادة سواه.

[٢] كما قال جَلَّوَعَلَا: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣]؛ يعني: ليس له بداية، وليس له نهاية، وليس له شبيه من خلقه؛ لأن الولد شبيه بالوالد وجزء منه، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ [الزخرف: ١٥]؛ يعني: ولدًا، فالولد جزء من الوالد، وهذا فيه:

الرد على النصارى الذين قالوا: (المسيح ابن الله)، تعالى الله عما يقولون!

وردد على المشركين من العرب الذين قالوا: (الملائكة بنات الله).

فالذين أثبتوا الولد لله نوعان:

النوع الأول: النصارى؛ أثبتوا له البنين.

النوع الثاني: والمشركون؛ أثبتوا له البنات.

والله جَلَّ وَعَلَا رد على الفئتين: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ﴾ [الإخلاص: ٣]،
 فالله ليس له ولد؛ لأنه ليس بحاجة إلى الولد؛ ولأن الولد يشبه الوالد، وهو
 جزء منه، والله ليس له جزء مخلوق ولا شبيه - تعالى الله عن ذلك! -، والولد
 شريك للوالد، والله جَلَّ وَعَلَا لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته،
 فهو منزّه عن الوالد والولد.



وَلَا صَاحِبَةً لَهُ^[١]، وَلَا شَرِيكَ لَهُ^[٢]. لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ، وَلَا لِآخِرِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ^[٣]، وَلَا يَبْلُغُ كُنْهَ صِفَتِهِ الْوَاصِفُونَ^[٤]،

الشرح

[١] يعني: ليس له زوجة، فكيف يكون له ولد، وهو ليس له زوجة؟! ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾ [الأنعام: ١٠١]؛ فهو ليس بحاجة إلى المخلوقين، ليس بحاجة إلى الزوجة، وليس بحاجة إلى الولد، وليس بحاجة إلى خلقه مطلقاً؛ لأنه الغني، وهم الفقراء المحتاجون إليه.

[٢] هذا عام؛ يعني: ليس له شريك بأي نوع من أنواع الشراكة، فليس له شريك شراكة ولد، أو شراكة زوجة، ولا شريك له في أسمائه وصفاته، لا أحد يشابهه ويضاهيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلا شريك له: لا في ذاته، ولا في أسمائه وصفاته، ولا في عبادته.

[٣] كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣].

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ»^(١)؛ يعني: المتعالي على خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، القاهر فوق عباده، «وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ».

فلا أحد يخفى عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥].

(١) أخرجه مسلم (٢٧١٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

[٤] يعني: لا أحد يعرف كيفية صفات الله، وأما معناها، فهو معلوم، فلا كيف كلامه، ولا كيف سمعه ولا بصره، وكذا جميع صفاته، فنحن نؤمن بها، ونثبتها، ولكن لا نعلم كيفيتها وحقيقتها؛ فالأسماء والصفات معلومة المعنى، ولكن كيفيتها لا يعلمها إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلا تقل: (كيف استوى؟)؛ فالكيفية لا نعلمها؛ ولهذا لما سأل رجل الإمام مالكا رَحِمَهُ اللهُ، فقال له: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، كيف استوى؟ فأطرق الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ برأسه، حتى علاه العرق من الخوف من الله عَزَّجَلَّ؛ لأن هذا سؤال لا يليق بالله عَزَّجَلَّ، ثم قال: «الاستواء معلوم»؛ يعني: معلوم المعنى، فاستوى على العرش معناه: ارتفع واستقر، وعلا عليه^(١)، «وَالْكَيفُ مَجْهُولٌ»؛ أي: مجهولة كيفيته، «وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ» على ما يليق بالله، «وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ»؛ أي: السؤال عن الكيفية، وليس من عادة العلماء ولا السلف الصالح أنهم يسألون عن الكيفية، وإنما يسألون عن المعنى فقط؛ لأنه معلوم. ثم قال: «وَمَا

(١) قَالَ الْأَخْفَشُ: «اسْتَوَى أَيُّ عَلَا، وَيَقُولُ: اسْتَوَيْتُ فَوْقَ الدَّابَّةِ، وَعَلَى ظَهْرِ الدَّابَّةِ، أَيُّ: عَلَوْتُهُ». انظر: تهذيب اللغة (١٣/ ٨٥)، والصحاح (٦/ ٢٣٨٥)، ولسان العرب (١٤٤/ ٤١٤).

قال أبو العالية الرياحي: ﴿اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ ارتفع، وقال مجاهد: ﴿اسْتَوَى﴾ علا على العرش، انظر: صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب (٢٢) قبل حديث (٧٤١٨)، وتفسير الطبري (١/ ١٩١-١٩٣)، وتغليق التعليق (٥/ ٣٤٤).

وجاء في الدرر السنية (١/ ٥٠٤): «قال النضر بن شميل -وكان ثقة مأموناً في علم الديانة واللغة-: حدثنا الخليل وحسبك بالخليل قال: أتيت أبا ربيعة الأعرابي وكان من أعلم من رأيت فإذا هو على سطح فسلمنا عليه فردّ السلام وقال: استوا، فبقينا متحيرين ولم ندر ما قال، فقال لنا أعرابي إلى جانبه: إنه أمركم أن ترتفعوا، فقال الخليل: هو من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ فصعدنا إليه».

أَرَاكَ إِلَّا رَجُلَ سُوءٍ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَأُخْرِجَ مِنَ الْمَجْلِسِ»^(١)، فأمر به، فأخرج من مجلسه، وطرد، وهكذا جزاء مثل هذا الذي يتجرأ على الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، ويسأل عن شيء لا يجوز السؤال عنه.



(١) أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/٣٩٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/٣٠٤-٣٠٥)، وفي الاعتقاد (ص ١١٦)، وأبو نعيم في الحلية (٦/٣٢٥)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٨/١٠٠)، وفي العلو (ص ١٣٩).

وَلَا يُحِيطُ بِأَمْرِهِ الْمُتَفَكِّرُونَ^[١]، يَعْتَبِرُ الْمُتَفَكِّرُونَ بِآيَاتِهِ^[٢]،

الشرح

[١] فلا يحيط بشأنه سُبحَانَهُ وَتَعَالَى المتفكرون، مهما تفكرت في الله عَزَّجَلَّ؛ في ذاته، وفي أفعاله، وفي صفاته وأسمائه، لن تنتهي إلى غاية، ما عليك سوى الإيمان بالله وأسمائه وصفاته، والوقوف عند هذا، ولا تسأل عن الكيفية.

[٢] التفكير في الله: أن تتفكر في آيات الله، فتتفكر في آيات الله الكونية والقرآن؛ الآيات الكونية: تتفكر في الأرض والجبال والبحار، والبر والبحر والأشجار والأنهار، تتفكر فيها أنها تدل على الخالق سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، وكما قيل^(١):

(١) هي للشاعر المشهور إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان أبو إسحاق العنزي، المعروف بأبي العتاهية، ولد سنة ثلاثين ومائة، أصله من عين التمر وهي بليدة بالحجاز، ومنشؤه الكوفة، ثم سكن بغداد، وكان يقول في الغزل والمديح والهجاء، ثم تنسك وصار قوله في الوعظ والزهد، وأبو العتاهية لقب، توفي سنة ثلاث عشرة ومائتين. انظر: تاريخ بغداد (٦/٢٥٠)، وبغية الطلب في تاريخ حلب (٤/١٧٤٩)، والمنتظم (١٠/٢٣٦)، ووفيات الأعيان (١/٢١٩)، والوافي بالوفيات (٩/١١١)، والبداية والنهاية (١٠/٢٦٥)، والمستطرف في كل فن مستظرف (١/١٦). ونسب ابن خلكان هذه الأبيات لأبي نواس في وفيات الأعيان (٧/١٣٨).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في نونيته:

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الْوُجُودَ رَأَيْتَهُ إِنَّ تَمَّ تَكُنُّ مِنْ زُمْرَةِ الْعُمَيَّانِ
بِشَّهَادَةِ الْإِثْبَاتِ حَقًّا قَائِمًا اللَّهُ لَا بِشَّهَادَةِ النُّكْرَانِ

انظر: النونية بشرح ابن عيسى (٢/١٩٩).

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَٰهُ أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَا حِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ

وكذا تتفكر في آيات الله القرآنية؛ بمعنى: أن تتدبرها، وتتأمل معناها، وتفسرها، أما أن تتفكر في كيفية أن الله تكلم بالقرآن، وكيف يتكلم؟ فهذا لا يجوز السؤال عنه والتفكير فيه.



وَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِي مَاهِيَّةِ ذَاتِهِ^[١]، وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ^[٢]، وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ^[٣]،

الشرح

[١] ماهية؛ يعني: ما هو.

[٢] هذا هو الدليل على تحريم التفكير في ذات الله، وهو: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فعلم الله واسع، ونحن لا نعلم من علم الله إلا ما علمنا؛ كما قالت الملائكة لله: ﴿سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]، والله جَلَّ وَعَلَا قال لنبية صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣]، وقال له: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، فما عَلمه الله خلقه، فإنهم يتعلمونه، وما لم يعلمهم إياه، فإنهم يقفون عنه، ولا يدخلون فيه، وما يعلمونه شيء يسير في علم الله، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَا أُوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، فالعلم الكامل لله عَزَّوَجَلَّ، أما علمنا، فهو قليل في جانب علم الله عَزَّوَجَلَّ؛ فلا نحيط بشيء من علمه، إلا بما شاء، وعَلَّمنا إياه على لسان رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٦٦) إِلَّا مَا أَرَضَى مِنْ رَسُولٍ [الجن: ٢٦-٢٧]، فإنه يطلعه الله على ما شاء من الغيب؛ لأجل مصلحة الناس، ليبين للناس، وهذا شيء معلوم في عقيدة المسلم، فالذين يزعمون أنهم يعلمون كل شيء، وأنهم ارتقوا بالعلم إلى ما لا نهاية

له، ويفتخرون بذلك، هؤلاء كذابون، ما بلغوا من علم الله إلا شيئاً يسيراً مما أقدرهم الله عليه، وما لم يقدرهم عليه ولا يعرفونه أعظم وأشد وأكثراً.

[٣] الكرسي^(١) مخلوق، وهو تحت العرش^(٢)؛ فالعرش أعظم منه، والكرسي وسع السماوات والأرض، فكيف يكون العرش؟! إذا كانت هذه عظمة الكرسي، فكيف بعظمة العرش؟! فكيف بعظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟! فلا تتصوره الظنون ولا الأوهام؛ وكما جاء في الحديث: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تَرْسٍ»^(٣)، فالسماوات السبع والأرضون السبع بالنسبة إلى الكرسي كسبعة دراهم أُلْقِيَتْ فِي تَرْسٍ، والكرسي بالنسبة للعرش كما في الحديث: «مَا الْكُرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْنِ فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ»^(٤).

فهذا بيان لعظمة مخلوقات الله، فكيف بعظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟! فالكرسي فوق السماوات، وفوق السماوات بحر، ثم فوق البحر الكرسي، ثم فوق الكرسي العرش، والله فوق العرش، مستوٍ على عرشه، عالٍ على مخلوقاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ومع علوه وارتفاعه لا يخفى عليه شيء في الأرض

(١) انظر: مادة: (ك ر س) في لسان العرب (٦/١٩٤)، ومختار الصحاح (ص٢٣٦)، وتاج العروس (٤٣٦/١٦).

(٢) انظر: مادة: (ع ر ش) في النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/٢٠٧)، ولسان العرب (٦/٣١٣)، ومختار الصحاح (ص١٧٨).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٣/١٠)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/٥٨٧)، والذهبي في العلو (ص١١٧).

(٤) أخرجه الطبري في تفسيره (٤/٥٣٩)، وأبو الشيخ في العظمة (٢/٦٣٦) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولا في السماء، فعلمه في كل مكان سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا يخفى عليه شيء: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] ^(١).



(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٨٩٨٧)، وأبو الشيخ في العظمة (١٠٤٧/٣)، والتوحيد لابن خزيمة (٨٨٥/٢)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/٣٩٦)، والديلمي في الفردوس (٧٨/٤)، وابن قدامة في إثبات صفة العلو (ص ١٠٥) عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا مَسِيرَةُ خَمْسِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ وَسَمَاءٍ خَمْسِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ مَسِيرَةُ خَمْسِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ خَمْسِائَةِ عَامٍ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ». وَعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِائَةِ سَنَةٍ، وَكَيْفُ كُلِّ سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِائَةِ سَنَةٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْعَرْشِ بَحْرٌ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَاللَّهُ تَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ، وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ». أخرجه أبو داود (٤٧٢٣)، والترمذي (٣٣٢٠)، وابن ماجه (١٩٣)، وأحمد (٢٠٦/١).

لَا يُؤْوِدُهُ حِفْظُهَا^[١]، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ^[٢]، الْعَالَمُ الْخَبِيرُ^[٣]، الْمُدَبِّرُ^[٤]

— الشرح —

[١] يعني: لا يثقله حفظ السماوات والأرض، فهو يحفظها، ويحملها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِقُدْرَتِهِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ لَنَافِعٌ﴾ [فاطر: ٤١]، فهو الذي يمسك السماوات والأرض بقدرته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا تكلفه شيئاً، ولا يؤوده؛ يعني: لا يعجزه، ولا يثقله حفظها.

[٢] وهو العلي على خلقه بذاته وقدرته وقهره، العظيم الذي لا أعظم منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

[٣] العالم بكل شيء، خبير بكل أحوال مخلوقاته.

[٤] المدبر لمخلوقاته؛ فلا يتحرك شيء، ولا يسكن شيء، ولا يسقط شيء، ولا يرتفع شيء، إلا بإذنه، قال تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ شَيْءٍ وَلَا يُمِيتُ إِلَّا بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ لَيَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١].

الكتاب: هو اللوح المحفوظ، فعلمه أولاً، ثم كتبه في اللوح المحفوظ، فهو المدبر لكل شيء.



الْقَدِيرُ^[١]، السَّمِيعُ الْبَصِيرُ^[٢]، الْعَلِيُّ^[٣] الْكَبِيرُ^[٤]،

الشرح

[١] أي: عظيم القدرة. فهذه صيغة مبالغة، فهو الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، أما المخلوق، فقد يشاء شيئاً، ولكن لا يقدر عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، فهو قدير سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يأمر الشيء فيوجد بمجرد أن يأمره، يقول للشيء: (كن)، فيكون.

[٢] اسمان من أسماء الله، يتضمنان صفتين: صفة السمع، وصفة البصر. والمخلوق سميع بصير، والله سميع بصير، ولكن ليس سمع المخلوق وبصر المخلوق كسمع الله وبصر الله عَزَّوَجَلَّ؛ فصفتان المخلوق تناسبه، وصفات الخالق تناسبه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإن اشتركت في الاسم والمعنى، فهي لا تشترك في الحقيقة والكيفية، قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]. والله سميع بصير، فليست أسماء الله وصفاته تشبهها أسماء المخلوقين وصفاتهم، فلا تشترك في الحقيقة والكيفية، وإن اشتركت في اللفظ والمعنى.

[٣] أي: على مخلوقاته، له العلو المطلق؛ علو الذات فوق مخلوقاته، وعلو القدر، وعلو القهر، فأنواع العلو الثلاثة كلها ثابتة لله عَزَّوَجَلَّ.

[٤] الذي لا أكبر منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ولذلك تقول: (الله أكبر)؛ أي: أكبر من كل شيء، لا أحد أكبر منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَأَنَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ الْمَجِيدِ بَذَاتِهِ^[١]، وَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِعِلْمِهِ^[٢].

الشرح

[١] والعرش هو سقف المخلوقات وأعلاها^(١)، والله فوق العرش بذاته، لا بعلمه؛ كما تقول المؤولة: (إنه فوقه بعلمه، أو بقدرته، أو بسلطانه)، بل هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فوقه بذاته، قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، والاستواء صفة فعلية، أما العلو، فهو صفة ذاتية؛ ولهذا جاء الاستواء مرتباً على خلق السماوات والأرض، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

فالاستواء صفة فعلية، يفعلها الله متى شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأما العلو، فهو صفة ذاتية، لا تنفك عنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وجاء لفظ ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ في

(١) كما في حديث الأبيط الذي أخرجه أبو داود (٤٧٢٦)، وابن أبي عاصم في السنة (٢٥٢/١)، والطبراني في الكبير (١٢٨/٢)، وأبو الشيخ في العظمة (٥٥٦/٢)، وابن عبد البر في التمهيد (١٤١/٧)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦١/١)، وابن أبي شيبة في العرش (ص ٥٧)، والأجري في الشريعة (٣٠٧)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/٣٩٤) من حديث جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جُهِدْتَ الْأَنْفُسَ، وَضَاعَتِ الْعِيَالُ، وَنُهِكَتِ الْأَمْوَالُ، وَهَلَكَتِ الْأَنْعَامُ، فَاسْتَشَقَّ اللَّهُ لَنَا، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللَّهِ وَنَسْتَشْفِعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيْحَكَ أَتَدْرِي مَا تَقُولُ؟» وَسَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَيْحَكَ إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَأْنُ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَيَحْكَ أَتَدْرِي مَا اللَّهُ، إِنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمَاوَاتِهِ هَكَذَا». وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ مِثْلَ الْقُبَّةِ عَلَيْهِ، «وَإِنَّهُ لَيَطُّ بِهَ أَطِيطُ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ».

سبعة مواضع من القرآن، لم يتغير لفظها، فدل على أن معناها واحد، وهو العلو والارتفاع فوق عرشه، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ^(١):

فَلَهُمْ عِبَارَاتٌ عَلَيْهَا أَرْبَعٌ قَدْ حُصِّلَتْ لِلْفَارِسِ الطَّعَانِ
وَهِيَ اسْتَقَرَّ وَقَدْ عَلَا وَكَذَلِكَ ار تَفَعَّ الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ نُكَرَانٍ
وَكَذَلِكَ قَدْ صَعِدَ الَّذِي هُوَ رَابِعٌ وَأَبُو عُبَيْدَةَ صَاحِبُ الشَّيْبَانِي
يَخْتَارُ هَذَا الْقَوْلَ فِي تَفْسِيرِهِ أَدْرَى مِنَ الْجَهْمِيِّ بِالْقُرْآنِ

فقلوه: (فَلَهُمْ عِبَارَاتٌ عَلَيْهَا)؛ أي: في معنى لفظة الاستواء أربعة تفسيرات، وهي: استقر، علا، ارتفع، صعد، بخلاف تفسيرات المعطلة؛ فالجهمية ينكرون العلو، وينكرون الاستواء، ويقولون: (الله في كل مكان، حتى في أمكنة القاذورات والحمامات)؛ ولا ينزهونه سُبحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فينكرون العلو لله عَزَّجَلَّ، يقولون: (هو في كل مكان)، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً! وقوله: (بِذَاتِهِ) رد على المؤولة من الأشاعرة^(٢) وغيرهم، الذين يقولون: (استوى بمعنى: استولى على العرش بسلطانه).

(١) انظر: النونية مع شرحها لابن عيسى (١/ ٤٤٠).

(٢) نسبة إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم الأشعري، ولد سنة ستين ومائتين، نشأ على مذهب المعتزلة، وتلمذ على يد أبي علي الجبائي ثم ترك مذهبهم وتبرأ منه، وسلك طريقة ابن كلاب وانتشر مذهبه ثم رجع عنه إلى مذهب أهل الحديث وانتسب للإمام أحمد، وألف في مذهب أهل السنة والجماعة: الإبانة، والموجز، ورسائل الثغر، إلا أنه بقيت عليه بقايا من مذهب ابن كلاب، وتوفي ببغداد سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، قال الذهبي: ويقال بقي إلى سنة ثلاثين وثلاثمائة. اهـ.

انظر: تاريخ بغداد (١١/ ٣٤٦)، ووفيات الأعيان (٣/ ٢٨٤)، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٨٥)، وشذرات الذهب (٢/ ٣٠٣)، والبداية والنهاية (١١/ ١٨٧).

[٢] أي: مع علوه على مخلوقاته هو في كل مكان، فهو معهم بعلمه؛
 كما قال جلّ وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾
 [آل عمران: ٥]، وقال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]؛ أي: معكم بعلمه.
 قَضَىٰ خَلْقَهُ ثُمَّ اسْتَوَىٰ فَوْقَ عَرْشِهِ وَمِنْ عِلْمِهِ لَمْ يَخْلُ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعٌ^(١)



(١) البيت لحسان السُّنَّةِ فِي وَفْتِهِ يَحْيَىٰ بَنُ يُوسُفَ بَنُ يَحْيَىٰ بَنُ مَنْصُورِ الصَّرَصَرِيِّ الْأَنْصَارِيِّ،
 من قصيدته العينية. انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ٣١٢).

خَلَقَ الْإِنْسَانَ^[١]، وَيَعْلَمُ مَا تُوسِسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا، وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ^[٢]. عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى^[٣]، وَعَلَى الْمَلِكِ اخْتَوَى^[٤]،

الشرح

[١] أي: الإنسان: آدم وذريته (وَيَعْلَمُ مَا تُوسِسُ بِهِ نَفْسُهُ)؛ يعلم ما في صدر الإنسان من الأفكار قبل أن يتكلم بها.

(وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ)، الوريد: هو العرق الذي بجانب الرقبة، يجري منه الدم، والله أقرب إلى عبده من حبل الوريد الذي في عنقه، وهذا القرب ليس قرب اختلاط، ولكن قريب منه بعلمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو قريب من عباده قرب إحاطة واطلاع؛ لا قرب اختلاط.

[٢] الكتاب: هو اللوح المحفوظ، الذي كتبت فيه مقادير الخلائق بعد علم الله جَلَّ وَعَلَا بها، فقد علمها أولاً، ثم كتبها ثانياً؛ لأن مراتب الإيثار بالقضاء والقدر أربع:

الأولى: مرتبة العلم؛ أن الله علم كل شيء بعلمه الأزلي الأبدي.

الثانية: كتابة ذلك في اللوح المحفوظ.

الثالثة: مرتبة المشيئة؛ أنه إذا شاء حدوث الشيء ووجوده، كان ووجد؛

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

الرابعة: مرتبة الخلق والإيجاد بعد المشيئة.

[٣] جاء في الآيات من سورة الأعراف وغيرها في سبعة مواضع ^(١).

[٤] يعني: احتوى الملك كله؛ أي: ملكه وحده، قال تعالى: ﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١].

وقال تعالى: ﴿فَسُبْحَنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣].

فالملك كله لله جَلَّ وَعَلَا، وإنما يملك المخلوق شيئاً يسيراً، ثم يسلبه منه، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦]، فملوك الدنيا مملوكون؛ ملكهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثم ينزع منهم الملك: إما بموتهم، وإما بتسلط أحد عليهم، أما مالك الملك المطلق، فهو الله جَلَّ وَعَلَا الذي لا يزول ملكه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا يبيد.



(١) هي: (الأعراف: ٥٤)، (يونس: ٣)، (الرَّعْدُ: ٢)، (طه: ٥)، (الْفُرْقَانُ: ٥٩)، (السَّجْدَةُ: ٤)، (الحَدِيدُ: ٤).

وَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ^[١] وَالصِّفَاتُ الْعُلَى ^[٢]، لَمْ يَزَلْ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ
وَأَسْمَائِهِ ^[٣]، تَعَالَى أَنْ تَكُونَ صِفَاتُهُ مَخْلُوقَةً، وَأَسْمَاؤُهُ مُحَدَّثَةً.

الشرح

[١] قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨]،
وغيرها من الآيات، فأسماءه كلها حسنى؛ لأنها تدل على الكمال، ولها معانٍ
جليلة؛ فكل اسم منها يدل على صفة عظيمة من صفات الله عَزَّوَجَلَّ، فهي
ليست أسماء مجردة، وإنما هي أسماء لها معانٍ عظيمة؛ ولذلك سميت حسنى؛
فالرحمن يدل على الرحمة، والسميع يدل على السمع، والبصير يدل على
البصر، والعليم يدل على العلم، والحي يدل على الحياة... إلى آخره.

[٢] وهي كلها صفات عليّة، وصفات عالية، وليست كصفات
المخلوقين التي منها صفات ذميّة.

[٣] الله جَلَّوَعَلَا لم يزل ولا يزال بجميع أسمائه وصفاته، لم يحدث له صفة
بعد أن لم تكن؛ فأسماءه وصفاته ملازمة له، ولا بداية لها؛ كما أنه لا بداية
له سبحانه، ولا نهاية لها؛ كما أنه لا نهاية له سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، فالله بجميع أسمائه
وصفاته هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، وفي هذا رد على الذين ينفون
الأسماء والصفات؛ كالجهمية ^(١)،

(١) هم أتباع الجهم بن صفوان أبي محرز الراسبي، مولا هم السمرقندي، الضال المبتدع رأس
الجهمية هلك في زمان صغار التابعين، وقد زرع شرّاً عظيماً، وهو رأس في التعطيل،
قُتِلَ سنة ١٢٨ هـ، قتله سَلَمُ بن أَحوز. انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٨٦)، =

والمعتزلة^(١)، والأشاعرة، ويقولون: (إذا أثبتنا الأسماء والصفات، جعلنا له شركاء في القدم، وهو لا شريك له في القدم)، ولذلك من أصولهم الخمسة «التوحيد»، وهو نفي الصفات، ونرد عليهم بأن الصفة ليست غير الموصوف، والاسم ليس هو غير المسمى؛ حتى تقولوا: (إنها شركاء الله عَزَّجَلَّ)؛ ولذلك يسمي هؤلاء الذين يثبتون الأسماء والصفات بالمشركين، ويصفونهم بالشرك؛ لأنهم أثبتوا شركاء الله -بزعمهم-؛ حيث جعلوا الأسماء والصفات كأنها مخلوقات تشارك الله عَزَّجَلَّ بزعمهم، وهذا من كفرهم وضلالهم، حتى إن الرازي قال عن ابن خزيمة لما كتب مؤلفاً في الأسماء والصفات، وسماه «كتاب التوحيد»، قال عنه: (إن هذا الكتاب هو كتاب الشرك؛ لأنه يثبت

=والفرق بين الفرق (ص ١٩٩)، وميزان الاعتدال للذهبي (٢/ ١٥٩)، والتعريفات للجرجاني (ص ١٠٨)، وفتح الباري (١٣/ ٣٤٥)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ٥٩٠).

(١) هي إحدى الفرق الضالة المخالفة لأهل السنة والجماعة، ورأس هذه الفرقة واصل بن عطاء الغزال، كان تلميذاً في مجلس الحسن البصري، فأظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين وأن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن ولا بكافر، فطرده الحسن من مجلسه، وانضم إليه عمرو ابن عبيد، واعتزلاً بمجلس الحسن، فسموا بالمعتزلة لذلك، ويلقبون بالقدرية لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم وإنكارهم القدر فيها.

وقد افترقت المعتزلة إلى فرق شتى يجمعهم القول بنفي الصفات، والقول بخلق القرآن، وأن العبد يخلق فعل نفسه، ولهم أصول خمسة جعلوها بمنزلة أركان الإيمان عند أهل السنة، وهي: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإنها أرادوا بهذه المسميات معاني باطلة.

انظر: الملل والنحل (١/ ٣٠ - ٣٢)، والفرق بين الفرق (ص ١٨، ٩٣، ٩٤)، والبدء والتاريخ (٥/ ١٤٢)، وسير أعلام النبلاء (٥/ ٤٦٤)، ووفيات الأعيان (٦/ ٨)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ٥٣٧-٥٣٩).

الأسماء والصفات لله، فمعناه: أنه جعل لله شركاء؛ هكذا يزعمون، فهم
 ينفون الأسماء والصفات من أجل «التوحيد» بزعمهم، فالموحد عندهم
 هو الذي ينفي الأسماء والصفات، والمشرك عندهم هو الذي يثبت الأسماء
 والصفات -تعالى الله عما يقولون-، وهو قول باطل حتى في المخلوقين، إذا
 قلت: (زيد عالم، وكاتب، وحاسب.. إلى آخره)، هل معناه أنك جعلت
 أسماء زيد وصفاته مخلوقات أخرى معه وشريكة له؟! هذا لا يقوله عاقل
 يتصور ما يقول.



كَلَّمَ مُوسَى بِكَلَامِهِ^[١].

الشرح

[١] هذا رد على الجهمية؛ فأسماؤه وصفاته ملازمة لذاته، لا بداية لها ولا نهاية؛ كما أن ذاته لا بداية لها ولا نهاية، وصفاته منها ما هو صفة ذات، وما هو صفة فعل، وصفات الأفعال قديمة النوع حادثة الآحاد.

فمن صفاته الفعلية «الكلام»؛ فالله يتكلم حقيقة، ويسمع منه الكلام، كلم موسى عَلَيْهِ السَّلَام، وسمع كلامه؛ ولذلك سمي موسى عَلَيْهِ السَّلَام كلم الله، ويكلم جبريل عَلَيْهِ السَّلَام بالوحي، ويسمع كلامه، ويبلغه للرسول، فهو يتكلم إذا شاء بكلام يسمع، أما الجهمية، فيقولون: (الله لا يتكلم؛ لأن المخلوق يتكلم، وإذا وصفنا الله بالكلام، فمعناه أننا شبهنا الخالق بالمخلوق)، فهم لا يفرقون بين صفات الخالق وصفات المخلوق؛ فالله يتكلم إذا شاء بكلام يليق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وليس مثل كلام المخلوق، فكلامه صفة له من صفات أفعاله، التي يفعلها إذا شاء، ومتى شاء، وبما شاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا بداية لكلامه ولا نهاية؛ كسائر صفاته، والجهمية يقولون: (كلام الله مخلوق، ومعنى «كلم الله موسى» عندهم: خلق الكلام في موسى، وليس المعنى أن الله كلمه حقيقة، وسمع موسى كلام الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى)، وكذا هم يقولون عن القرآن: (إنه مخلوق، وليس كلام الله حقيقة، وإنما خلقه الله في اللوح المحفوظ، وأخذه جبريل عَلَيْهِ السَّلَام من اللوح المحفوظ، وأتى به إلى محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، تعالى الله عما يقولون!

وعدم الكلام نقص في حق الله، فالذي لا يتكلم معناه أنه ناقص؛
ولهذا قال لما اتخذ بنو إسرائيل العجل: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ
سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٨]، وفي الآية الأخرى قال: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ
إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه: ٨٩]، فالله عاب هذا الذي صنعه
السامري، واتخذ بنو إسرائيل إلهاً لهم، وقالوا: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى
فَنَسِيَ﴾ [طه: ٨٨]؛ موسى عَلَيْهِ السَّلَام نسي، وذهب يبحث عن ربه، وهو معكم،
قال الله ردّاً عليهم: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا
نَفْعًا﴾ [طه: ٨٩]، فالذي لا يتكلم لا يصلح أن يكون إلهاً، كيف يكون إلهاً،
وهو لا يتكلم، ولا يأمر، ولا ينهى، ولا يدبر، تعالى الله عما يقولون!



الَّذِي هُوَ صِفَةُ ذَاتِهِ^[١] لَا خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ^[٢]، وَتَجَلَّى لِلْجَبَلِ، فَصَارَ دَكًّا مِنْ جَلَالِهِ^[٣].

الشرح

[١] أي: «الكلام» من صفات الله، فهو صفة فعل، وكل صفة فعل، فهي صفة ذات -أيضاً.

[٢] هذا رد على الجهمية الذين يقولون: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]؛ يعني: خلق فيه الكلام)، وهذا قول باطل؛ فالله كلمه بكلام سمعه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ منه.

[٣] كما في قوله تعالى في قصة موسى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]؛ لأن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما سمع كلام ربه، اشتاق لرؤيته، فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾، قال الله له: ﴿لَنْ تَرَنِي﴾؛ أي: لا تطبق رؤيتي، وأراد سُبحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يبين له أنه لا يطيقها بما يحصل للجبل، إذا تجلَّى الله له، فقال: ﴿أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرَنِي﴾ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]؛ أي: ارتجف الجبل، وتحول إلى تراب، ﴿وَحَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]؛ أي: مغشياً عليه من شدة الهول، إلى آخر ما ذكره الله.



وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ؛ فَيَبِيدُ، وَلَا صِفَةً لِمَخْلُوقٍ؛
فَيَنْفَدُ^[١].

الشرح

[١] مما يعتقده أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، والقرآن الكريم فرد من أفراد كلام الله؛ لأن جنس كلام الله لا ينفد، وهو الكلام الذي يدبر به مخلوقاته بأوامره ونواهيه ولا بداية له، ولا نهاية له، فهو قديم النوع، حادث الآحاد، بمعنى أنه يتكلم سُبحَانَهُ وَتَعَالَى بما شاء، متى شاء، وكيف شاء في الأزل والأبد، ودائماً وأبدًا، فكلامه سُبحَانَهُ وَتَعَالَى صفة من صفاته الفعلية؛ التي يفعلها متى شاء، فكلام الله من جملة صفاته الفعلية، ومن آحاده: القرآن الكريم، والكتب المنزلة على رسله؛ فالله تكلم بالتوراة والإنجيل والقرآن، وتكلم بالكتب المنزلة، ويكلم من شاء من عباده؛ كما يشاء سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، فيجب الإيمان بذلك، وأن القرآن كلام الله، لفظاً ومعنى، بخلاف قول الجهمية، الذين ينفون الكلام عن الله؛ كما ينفون عن الله سائر الصفات، ويقولون: (إن كلامه مخلوق، خلقه الله إما في اللوح المحفوظ، وإما في جبريل عَلَيْهِ السَّلَام، وإما في محمد وموسى وعيسى -عليهم الصلاة والسلام-، فهو من جملة مخلوقاته)، وهذا قول باطل؛ فإن كلام الله صفة من صفاته الفعلية غير مخلوق، ولا يشبهه كلام الخلق، فالمخلوق يتكلم -أيضاً-، والله جَلَّ وَعَلَا يتكلم، المخلوق يسمع، والله جَلَّ وَعَلَا يسمع، المخلوق يبصر، والله جَلَّ وَعَلَا يبصر ويرى سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

ولكن صفات الله تليق به، وصفات المخلوقين تليق بهم، فلا يشبه هذا هذا، فصفات المخلوقين مخلوقة، وأما صفاته جَلَّوَعَلَا، فإنها غير مخلوقة، بل هي أزلية بأزليته سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، وكلامه لا ينفد، ولا يحد، قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧]، فالله يتكلم جَلَّوَعَلَا متى شاء؛ يتكلم في الأزل، ويتكلم في المستقبل، ويتكلم متى شاء سبحانه؛ يأمر، وينهى، ويدبر، ولا حد لكلامه سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

كلم جبريل عَلَيْهِ السَّلَام، وسمع جبريل كلامه، كلم موسى عَلَيْهِ السَّلَام، وسمع موسى عَلَيْهِ السَّلَام كلامه، وكلم محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليلة المعراج، وكلم آدم عَلَيْهِ السَّلَام، فهو يكلم من شاء بكلام يليق بجلاله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، لا يشبه كلام المخلوقين؛ كما أن سائر صفاته لا تشبه صفات المخلوقين، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فالقرآن الكريم من كلامه، لفظه ومعناه، والجهمية يقولون: (لفظه ومعناه مخلوقان)، والأشاعرة يقولون: (لفظه مخلوق، وأما معناه، فهو غير مخلوق، وهو المعنى القائم بالنفس، وعبر عنه جبريل عَلَيْهِ السَّلَام، فالقرآن عبارة أو حكاية عن كلام الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى)، وهذا مشتق من قول الجهمية -أيضًا-، إلا أنهم فارقوهم في أن معناه غير مخلوق، وأما لفظه، فمخلوق. تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا!

وأما أهل السنة، فيقولون: (القرآن كلام الله لفظًا ومعنى؛ كما يليق بجلاله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى، والكلام والصفات هي كمال، أما الذي لا يتكلم، فإنه ناقص).

ولهذا لما اتخذ بنو إسرائيل العجل الذي صنعه لهم السامري من الذهب، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٨]، فدل على أن الله جَلَّ وَعَلَا يكلم عباده، وأما الذي لا يكلم، فهو جماد، وإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَام قال لأبيه: ﴿يَتَأَبَّتْ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢]، فدل على أن الذي لا يسمع، ولا يبصر، ولا يتكلم لا يصلح أن يكون إلهًا، ولا يلزم من إثبات الصفات لله مشابهته للمخلوقين؛ فأساء الله وصفاته لا تشبه صفات خلقه، وأساءه لا تشبه أساء خلقه، وكلامه لا يشبه كلام خلقه، وصفات المخلوقين تليق بهم، وصفات الله تليق به؛ فهناك فرق بين هذا وهذا، وهذا ما ذكره المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله: (وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ)، وكذا الإنجيل كلام الله، والتوراة كلام الله، وكلامه أكثر من هذا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وهو (لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ؛ فَيَبِيدُ)؛ كما تقوله الجهمية؛ لأنه لو كان مخلوقًا، فالمخلوق يفنى، ويبيد؛ فعلى هذا، فالقرآن يبيد، ولكن القرآن لا يفنى، ولا يبيد، وكذا سائر كلامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(وَلَا صِفَةً لِمَخْلُوقٍ؛ فَيَنْفَدُ)، هذا رد على الذين يقولون: (إن القرآن إنما تكلم به جبريل عَلَيْهِ السَّلَام، والرد عليهم: أنه لو كان كذلك لكان صفة مخلوق، وصفات المخلوق تنفد، وكلام الله لا ينفد، قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، كلام الله لا ينفد؛ كسائر صفاته.



وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ^[١]

الشرح

[١] الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان؛ كما في حديث جبريل، لما سألته عن الإيمان، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»^(١).

والقدر: هو ما قدره الله وقضاه، وكتبه في اللوح المحفوظ، ومراتب الإيمان بالقضاء والقدر أربع^(٢):

المرتبة الأولى: مرتبة العلم، وهي أن الله علم كل شيء بعلمه الأزلي، الذي هو موصوف به دائماً وأبداً؛ علم ما كان، وما يكون.

المرتبة الثانية: مرتبة الكتابة، وهي: أن الله كتب في اللوح المحفوظ كل ما جرى ويجري إلى أن تقوم الساعة.

المرتبة الثالثة: مرتبة المشيئة، وهي: أن الله إذا شاء إيجاد هذا المقدر في وقته، فإنه يوجده سبحانه وتعالى، فلا يكون في ملكه ما لا يريد ولا يشاءه، ولا يقع.

(١) أخرجه مسلم في أول كتاب الإيمان [ح ١(٨)].

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في مجموع الفتاوى (٣ / ١٤٨، ١٤٩)، والعقيدة الواسطية (ص ٣٥): (وتؤمن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة بالقدر خيره وشره والإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين فالدرجة الأولى الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق وأما الدرجة الثانية فهو مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه). اهـ. باختصار.
وانظر: جامع العلوم والحكم (ص ٢٧)، وشفاء العليل لابن القيم (ص ٢٩).

المرتبة الرابعة: الإيجاد والخلق؛ فالله خالق كل شيء، قال تعالى:
 ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾
 [الفرقان: ٢]، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾
 [الزمر: ٦٢]، فالله الخالق جَلَّ وَعَلَا خلق كل شيء مما كان ومما يكون.

هذه مراتب الإيمان بالقضاء والقدر، ومن جحد واحدة منها، فقد
 كفر، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي
 كِتَابٍ﴾ [الحديد: ٢٢]، هذا هو اللوح المحفوظ.

﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾؛ أي: من قبل أن نخلقها، وهي مرتبة الخلق،
 ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]؛ فالله خلق كل شيء، وقدر كل
 شيء، وكتب كل شيء، فهذا يسير عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولماذا أخبرنا الله بذلك؟
 قال: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣]، إذا أصابك شيء، وعلمت
 أن هذا بقضاء الله وقدره، فلا تأس ولا تحزن؛ لأنه لا بد أن يكون، ثم قال:
 ﴿وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣]؛ أي: لا تفرحوا بما أعطاكم
 فرح بطر وأشر وتكبر.



خَيْرُهُ وَشَرُّهُ^[١]

الشرح

[١] الله قدر كل شيء: الخير والشر، والإيمان والكفر، والهداية والضلال، كله من قدر الله، وهو من ناحية خلق الله له: غير شر؛ لأنه خلقه لحكمة، وإنما هو شر بالنسبة إلى من وقع عليه؛ فالقتل، والجراح، والمكروهات كلها شر على من وقعت عليه، وهي بالنسبة إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَيْسَتْ بِشَرٍّ، بل من كماله سبحانه أنه خلق الخير والشر؛ لأنه من كمال الخلق، فلا يقتصر على الخير فقط، ولا على الشر فقط، بل خلق هذا وهذا، وهذا من عجائب خلقه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وما خلق الشر إلا لحكمة، ما خلقه عبثاً، إنما خلقه ليتلى به، ويختبر، ويعاقب به من يستحق العقوبة، والعقوبة شر على من وقعت عليه، ولكنها عدل من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فهي بالنسبة إلى الله حمودة؛ لأنها تناسب المحل الذي وقعت عليه، وهي عدل من الله جَلَّ وَعَلَا، فكما أنه يجازي المحسن، فكذلك يجازي المسيء؛ يجازي المحسن بالخير، ويجازي المسيء بالشر، فهذا من عدله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فلا يسوي بين المحسن والمسيء، فالله خلق الشر لحكمة عظيمة، ولعدل منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فيجب الإيمان بالقدر خيره وشره، لا يؤمن بالخير فقط، بل يؤمن بالخير والشر كله من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»^(١).

(١) أخرجه مسلم (٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

حُلُوهُ وَمَرَّهُ^[١]، وَكُلُّ ذَلِكَ قَدْ قَدَّرَهُ اللَّهُ رَبُّنَا^[٢]، وَمَقَادِيرُ الْأُمُور بِيَدِهِ^[٣]،
وَمَصْدَرُهَا عَنْ قَضَائِهِ^[٤].

الشرح

[١] على العباد؛ حلوه ومره من جهة العباد، فالشر مر، والخير حلوه، كله من الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، الله خلق المتضادات لحكمة منه سُبحَانَهُ وَتَعَالَى؛ حتى تعرف قدرته ومشيبته وحكمته سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

[٢] أي: الخير والشر، حلوه ومره كله (قَدْ قَدَّرَهُ اللَّهُ رَبُّنَا).

[٣] فكل مقادير الأمور بيد الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، ليس هناك شيء بغير قدر الله؛ كما تقول المعتزلة، الذين يقولون: (إن الله ما خلق إلا الخير، وأما الشر، إنما العبد هو الذي خلقه، فخلق الكفر والمعاصي)، ويقولون هذا من باب التنزيه لله -بزعمهم-؛ لأنهم ما عرفوا حكمة الله جَلَّ وَعَلَا في المخلوقات، وقيسونه على خلقه، وهذا باطل؛ فالمعتزلة يخرجون الكفر والشر من القضاء والقدر، ويقولون: (إن العبد هو الذي يوجد هذه الأشياء، ويأتي بها استقلالاً، دون أن يقدرها الله عليه)، فمقادير الأمور كلها بيد الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

[٤] فلا يحصل شيء إلا وقد قضاه الله، ولا يحصل شيء لم يقدره الله.



عِلْمَ كُلِّ شَيْءٍ قَبْلَ كَوْنِهِ^[١]، فَجَرَى عَلَى قَدَرِهِ^[٢]. لَا يَكُونُ مِنْ عِبَادِهِ
قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ إِلَّا وَقَدْ قَضَاهُ وَسَبَقَ عِلْمُهُ بِهِ^[٣]، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ
الْلَطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]^[٤]. يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ؛ فَيَخْذُلُهُ بَعْدْلِهِ، وَيَهْدِي مَنْ
يَشَاءُ؛ فَيَوْفِقُهُ بِفَضْلِهِ^[٥]،

الشرح

[١] علم كل شيء بعلمه الأزلي؛ الذي هو موصوف به أزلاً وأمداً، هذه
مرتبة العلم.

[٢] وجريانه وحصوله وإيجاده في وقته مرتبة من مراتب القضاء
والقدر.

[٣] لا يكون من عبادته قول أو عمل من خير أو شر، من كفر أو إيمان،
وتسبيح وسباب وشتم، لا يكون إلا بقضاء الله وقدره، وإيجاده وخلقه
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

[٤] ﴿أَلَا﴾ هذا استفهام تقرير، وهو أنه ما خلق إلا بعدما علم؛ علم
الأشياء، ثم أوجدها، وهو اللطيف الذي لا يخفى عليه شيء، الخبير بكل
شيء.

[٥] يضل من يشاء بعدله، ويهدي من يشاء بفضله؛ فالفضل من الله
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾
[الجمعة: ٤].

وأما الشر، فالله جلَّ وعَلَا يوقعه بمن يناسبه ومن يستحقه؛ فهو عدل منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو محمود على هذا وهذا، محمود على الفضل، ومحمود على العدل، فهو يضل من يشاء بعدله، ولكن السبب من قبل العبد، فإذا لم يقبل الحق، وعارض الحق، وأنكر الحق، مثل فعل الكفرة مع الأنبياء، فإن الله يجازيهم، فيضلهم؛ عقوبة لهم بسبب أفعالهم وإعراضهم، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥].

فالله لا يهديهم بسبب الفسق، ولا يهدي الكافرين بسبب الكفر، ولا يهدي القوم الظالمين بسبب الظلم، فالأشياء مرتبطة بأسبابها، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْتَوَى﴾ ٥ ﴿وَصَدَقَ بِالْحَسَنَى﴾ ٦ ﴿فَسَنِيْرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ ٧ ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ ٨ ﴿وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَى﴾ ٩ ﴿فَسَنِيْرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ٥-١٠]، فأما الذي يحب الخير، ويقبل الخير، ويقبل على الخير، ويطلب الخير؛ فإن الله يوفقه ويهديه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧]، وأما الذي يعرض عن الخير، ويكفر به، ويعاند؛ فإن الله يخذله؛ عقوبة له، وعدلاً منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فالله لا يضل أهل الإيمان، ولا يهدي أهل الضلال، الذين لا يقبلون، ولكنه يضع الأمور في مواضعها، ويضع الهداية في مواضعها، ويضع الإضلال في مواضعه، وهذا كله عدل منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وفضل وحكمة.



فَكُلُّ مُيسَّرٍ بِتيسيره إِلَى مَا سَبَقَ مِنْ عِلْمِهِ وَقَدَرِهِ مِنْ شَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ^[١].
تَعَالَى اللَّهُ أَنْ يَكُونَ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ^[٢]،

الشرح

[١] قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ»، وذلك بقضاء الله، فقال الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلِمَ نَعْمَلُ؟ أَفَلَا نَتَّكِلُ؟» على كتابنا، وندع العمل؛ أي: من كتب له أن يدخل الجنة، يدخلها، ومن قدر له أن يدخل النار، يدخلها، قال: «اعْمَلُوا فَكُلُّ مُيسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ»، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَكَى ۝ وَصَدَقَ بِالْحَسَنَى ۝ فَنُصِرَ لِلْعُسْرَى ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۝ وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَى ۝ فَنُصِرَ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ٥-١٠]^(١)، فبين سبحانه أن الإضلال والهداية بسبب من العبد، وعدل من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَفَضْلُ مِنْهُ.

[٢] تعالى سبحانه وتقدس أن يكون في ملكه ما لا يريد، لا يكون في ملك الله إلا ما أَرَادَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ من خير أو شر، من كفر وإيمان، من هداية وضلال، يضع كل شيء في موضعه عندما يستحق.

وهذا بخلاف قول القدرية الذين يقولون: (إن الله لم يرد الكفر، ولم يرد الشر)، فهذا تعجيز لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يكون في ملكه ما لا يريد، نقول: لا، الخير والشر كله بيد الله، والكفر والإيمان كله بتقدير الله عَزَّ وَجَلَّ، ما خلقها عبثاً ولا ظمناً، مثلاً: السموم خلقها الله، وهي ضارة وقاتلة، ولكن إذا وضعت

في مواضعها، فتتفع أو تضر، يوقعها الله على من يعاقبه؛ فيضر، ويوقعها على من يريد له الشفاء؛ فيشفى؛ فالله خلق هذا السم، وإن كان قاتلاً، ولكن فيه حكمة، وخلق الجوع والشبع لحكمة؛ ابتلاءً وامتحاناً، وخلق المرض والصحة، فخلق المتضادات ولكن كل شيء يوضع في موضعه، لو أن الله ما خلق إلا الخير، فالناس كلهم يدخلون الجنة، والله جلَّ وَعَلَا يريد أن لا يدخل الجنة أحد إلا بعمله، قال تعالى: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]، فلا يدخل أحد الجنة إلا بعمل، ولا يدخل النار إلا بعمل.



أَوْ يَكُونُ لِأَحَدٍ عَنْهُ غِنًى^[١]،

الشرح

[١] لا أحد يستغني عن الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ﴾، كل الناس حتى الملوك الكبار والأغنياء، ﴿أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، كلهم فقراء إلى الله، لا أحد يستغني عن الله، ولو كان عنده أموال الدنيا، فإنه فقير، لا يستغني عن الله؛ من الذي يبغي له أمواله؟ من الذي يصح جسمه؟ من الذي يلهمه الاكتساب وجمع الأموال؟ هو الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، فأنتم الفقراء إلى الله من كل وجه، والله هو وحده الغني عن خلقه من كل وجه، فهو الغني الحميد المحمود على كل حال سُبحَانَهُ وَتَعَالَى؛ على أفعاله، وعلى أقداره، وعلى كل أموره سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، كلها محمود عليها؛ لأنه يضع الأمور في مواضعها، ولو أن الله ما خلق إلا الكفر، ما دخل الجنة أحد، فالله خلق الجنة والنار، وخلق الكفر والإيمان؛ هذا للنار، وهذا للجنة، فمن سلك طريق العمل الصالح، دخل الجنة، ومن سلك طريق الكفر والشر، دخل النار، ولا يسوي الله بين هذا وهذا، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمُ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].



أَوْ يَكُون خَالِقُ شَيْءٍ^[١]، إِلَّا هُوَ: رَبُّ الْعِبَادِ وَرَبُّ أَعْمَالِهِمْ^[٢]، وَالْمَقْدَرُ
لِحَرَكَاتِهِمْ وَأَجَالِهِمْ^[٣].

الشرح

[١] ليس هناك شيء خلقه غير الله، فكل ما في هذا الكون الله خالقه، قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [لقمان: ١١]، وقال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنَادِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ [الأحقاف: ٤]، أثبتوا بدليل على أن هناك شيئاً خلقه فلان أو علان!! وما استطاعوا أن يأتوا بدليل، وهذا تحد من الله عَزَّجَلَّ، يدل على أن كل هذا الكون من خلق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالله هو الخالق وحده، وما سواه فهو مخلوق، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [الحج: ٧٣].

[٢] الله رب العباد، ومالكهم، والمتصرف فيهم، وهو مربيهم، ومغذيهم بنعمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهو الذي يربيهم بالوحي، ويربيهم بالرزق لأبدانهم، ويربيهم بالوحي لقلوبهم؛ فهو يربي العباد، وهو -أيضاً- رب أعمال العباد، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، فهو خلقكم، وخلق ما تعملون، لا أحد يستقل بفعله، ويخلق من دون الله، بل الله هو الذي يخلق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والمخلوق لا يخلق فعل نفسه.

[٣] فلا يتحرك إلا بقدر الله وقضائه، هو الذي يقدر حركاتهم، وهو الذي يقدر آجالهم ونهاية أعمارهم، ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ [فاطر: ١١].



الْبَاعِثُ الرُّسُلَ إِلَيْهِمْ لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ^[١]. ثُمَّ خَتَمَ الرِّسَالَةَ وَالنَّذَارَةَ
وَالنَّبُوَّةَ بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^[٢]

الشرح

[١] من رحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بعباده أنه لم يكلهم في دينهم لأنفسهم يختارون ما يرون أنه خير، وقد لا يكون خيراً؛ لقصورهم، وقصور علمهم وإدراكهم، فالله جَلَّ وَعَلَا لم يكلهم إلى عقولهم، وإنما أرسل رسله، وأنزل كتبه؛ ليعين للناس العبادة التي يريدونها منهم، وطريق الخير وطريق الشر؛ هداية لهم، وإقامة للحجة عليهم؛ فالؤمن ينتفع بما أنزله الله، والكافر تكون الرسل والكتب حجة عليه؛ فالله لم يترك العباد هملاً ولا سدى، وإنما أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، ولم يكلهم إلى اختيارهم وعقولهم وتفكيرهم.

[٢] الرسل أولهم نوح عَلَيْهِ السَّلَام، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣]، أما الأنبياء فمن قبل نوح عَلَيْهِ السَّلَام، آدم نبي، وإدريس، أما الرسل، فإن أولهم نوح عَلَيْهِ السَّلَام، وختامهم محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فلا يأتي بعده نبي، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا تَبِي بَعْدِي»^(١)، فهو نبي آخر الخلق،

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢٢١٩)، وأحمد في المسند (٢٧٨/٥)، والحاكم في المستدرک (٤٩٦/٤) من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن صحيح»، وأصل حديث ثوبان أخرجه مسلم (٢٨٨٩)، وليس فيه الشاهد.

وإلى أن تقوم الساعة. وبعد بعثة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا حاجة بالناس إلى بعثة نبي بعده؛ لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جاء بما يغني الناس إلى أن تقوم الساعة؛ فالقرآن صالح لكل زمان ومكان، والشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، فمن اعتقد أنه يبعث نبي بعد محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو كافر، ومن صدق الكذبة المتنبئين، فهو كافر؛ ولذلك لما ادعى النبوة أحمد القادياني في هذا الزمن، حكم المسلمون عليه بالإجماع أنه كافر، وعلى أتباعه بأنهم كفرة؛ عملاً بقوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠: (١)].

(١) هي حركة نشأت عام ثمانية عشر وثلاثمائة وألف بتخطيط من الاستعمار الإنجليزي في شبه القارة الهندية، بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد بشكل خاص، ورأس هذه الفرقة هو ميرزا غلام أحمد القادياني، المولود في قرية قاديان في البنجاب بالهند، كان معروفاً عند أتباعه باختلال المزاج وكثرة الأمراض وإدمان المخدرات، وله أكثر من خمسين كتاباً ونشرة ومقالاً، على هذا المعتقد الخبيث، منها: «إزالة الأوهام»، و«إعجاز أحدي»، و«براهين أحمديّة»، و«أنوار الإسلام»، و«التبليغ»، وغيرها.

ويعيش معظم القاديانيين الآن في الهند وباكستان، وقليل منهم في الدولة اليهودية بفلسطين المحتلة وفي العالم العربي، ويسعون بمساعدة الاستعمار للحصول على المراكز الحساسة في كل بلد يستقرون فيه، ومن معتقدتهم الخبيث أن الله يصوم ويصلي وينام ويصحو ويكتب ويخطئ ويجامع -تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً- كما يعتقدون أن النبوة لم تُختتم بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل هي جارية، وأن الله يرسل الرسول حسب الضرورة، وأن غلام أحمد هو أفضل الأنبياء جميعاً، وكل مسلم عندهم كافر حتى يدخل القاديانية.

وفي شهر ربيع الأول عام أربع وتسعين وثلاثمائة وألف عقدت رابطة العالم الإسلامي مؤتمراً في مكة المكرمة، أعلن فيه كفر هذه الطائفة وخروجها عن الإسلام.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَابُونَ ثَلَاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيُّهُمْ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي»^(١)، وليست الخليفة بحاجة إلى نبي بعد محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا إلى كتاب بعد القرآن؛ فمن أصول العقيدة اعتقاد أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتم النبيين، وأن من ادعى النبوة بعده، فهو كافر وكذاب.



(١) سبق تخريجه الحديث السابق.

فَجَعَلَهُ آخِرَ الْمُرْسَلِينَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا^[١]، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ^[٢] وَسِرَاجًا مُنِيرًا^[٣]، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ الْحَكِيمَ^[٤]، وَشَرَحَ بِهِ دِينَهُ الْقَوِيمَ^[٥]، وَهَدَى بِهِ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ.

الشرح

[١] (بَشِيرًا) لأهل الخير، (وَنَذِيرًا) لأهل الشر.

[٢] أي: داعيًا إلى شرعه، وإلى دينه، وتوحيده.

[٣] (وَسِرَاجًا) يخرج الله به من الظلمات إلى النور، و(مُنِيرًا) للكون بنور الإيمان والهداية والوحي.

[٤] أنزل عليه القرآن، الذي هو أعظم الكتب، وهو المهيمن على الكتب كلها، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وهو الباقي إلى أن يرفع في آخر الزمان قبيل قيام الساعة.

[٥] هذا الكتاب الحكيم شرح الله به دينه، فهو الذي بين الدين، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

فالكتاب نزل تبيانًا لكل شيء، مما يحتاجه الناس إلى أن تقوم الساعة، فلا تنزل نازلة إلا وفي القرآن ما يبين حكمها لمن عنده علم وبصيرة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣].

والسنة مبينة ومفسرة للقرآن وموضحة له، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا^[١].

الشرح

[١] من أصول الإيمان: الإيمان باليوم الآخر، فمن أنكره، فهو كافر، وقد أنكره المشركون، فصار هذا زيادة في كفرهم، وكذلك من كان يدعي الإسلام، وهو ينكر البعث، فإنه كافر؛ لأنه مكذب لله ولرسوله ولإجماع المسلمين، ومنكر لأصل من أصول الإيمان، والمراد باليوم الآخر: اليوم الذي بعد الدنيا، فالدنيا هي اليوم الأول، ويوم القيامة هو اليوم الآخر، فلا بد من الإيمان به، والاستعداد له، فلا يكفي الإنسان أن يؤمن به، بل لابد من الاستعداد له بالأعمال الصالحة، والتوبة من الأعمال السيئة؛ حتى يفوز في هذا اليوم.

واليوم الآخر يعبر عنه بالساعة؛ كما جاء في القرآن: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦٣]، فالساعة المراد بها اليوم الذي تنتهي به الدنيا، وتبدأ به الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّكَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٧]، يقول للشيء: (كن)، فيكون.

وهذه الساعة، وهذا الوقت الذي تنتهي به الدنيا، وتبدأ به الآخرة لا يعلمه إلا الله، وقد صح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها تقوم الساعة في يوم الجمعة^(١)، قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨]؛ أي: علاماتها.

(١) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٨٥٤): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، =

فعلاطات الساعة على ثلاثة أقسام:

علامات يسيرة، وعلامات متوسطة، وعلامات كبيرة.

وهذه العلامات منها ما حصل، ومن ذلك: بعثة النبي ﷺ؛ فإنه نبي الساعة، قال: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ، قَالَ: وَضَمَّ السَّبَابَةَ وَالْوُسْطَى»^(١).

وعلامات متوسطة، وحصل منها ما حصل، ويحصل ما بقي، وبقيت العلامات الكبرى، التي إذا بدأ أولها، تابعت، وهي^(٢):

* خروج الشمس من مغربها.

* وخروج الدابة التي تكتب على جباه الناس كافراً أو مؤمناً، وهي دابة تخرج، لا تترك أحداً إلا جعلت عليه علامة؛ من الكفار أو من المسلمين، فيصبح الناس يتنادون: يا كافر، يا مسلم.

* ومنها: خروج يأجوج مأجوج، وهم قوم من بني آدم لا يكادون يفقهون قولاً، ويفسدون في الأرض، وقد طلب الناس من ذي القرنين

= قَالَ: «خَبِرْتُ يَوْمَ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ».

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٤)، ومسلم (١٣٥) (٢٩٥١) من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٠١) عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَكَّرُ، فَقَالَ: «مَا تَذَاكُرُونَ؟» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: «إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ - فَذَكَرَ - الدُّخَانَ، وَالدُّجَالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَتُرُوءَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ﷺ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ».

أن يجعل بينهم وبين الناس سدًّا، فقام ذو القرنين بما أعطاه الله من القوة والإمكانات، فبنى السد الذي لم يستطيعوا أن ينقبوه، ولم يستطيعوا أن يظهروا عليه، فحال بينهم وبين الناس إلى أجل محدود، ثم يندك هذا السد، فيخرج يأجوج ومأجوج على الناس، ويحصل منهم ما يحصل، قال: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾؛ يعني: هذا السد.

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ ❶ ﴿وَرَكْنَا بَعْضُهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف: ٩٨-٩٩]، حتى يهلكهم الله عن آخرهم، ويسلم المسلمون من شرهم؛ كما جاء في الأحاديث^(١).

* ومن العلامات الكبرى ظهور المهدي، وهو من نسل الحسن بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يظهر في وقت خلاف، ثم يبايعه الناس، ويسير بالناس سيرة حسنة، ويملا الأرض عدلاً؛ كما ملئت جوراً، ويجاهد في سبيل الله، ثم ينزل المسيح الدجال في آخر عهد المهدي، وهو الفتنة الكبرى، والمصيبة العظمى، ثم ينزل المسيح ابن مريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقتل الدجال، ويستريح المسلمون من شره، ثم يظهر يأجوج ومأجوج، فهذه العلامات الكبار المتلاحقة، ثم يقبض الله أرواح أهل الإيوان، ولا يبقى إلا الأشرار، ولا يبقى من يقول: (الله الله)، ثم تقوم عليهم الساعة -والعياذ بالله-، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ مَنْ تُدْرِكُهُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءُ»^(٢)، هذا ملخص لعلامات الساعة.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٧)، وهو حديث طويل فيه أشرط القيامة الكبرى ومنها خروج يأجوج ومأجوج ومرورهم ببحيرة طبرية وشرهم ماءها.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣٩٤/٦)، والبزار (١٣٦/٥)، من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

* ومنها: النار التي تسوق الناس إلى المحشر، تبیت معهم حيث باتوا، وتقبل معهم حيث قالوا، وتسوقهم إلى المحشر^(١)، وهي نار تخرج من قعر عدن؛ كما في الحديث^(٢).

فهذه علامات أخبر بها النبي ﷺ، وجاء ذكر بعضها في القرآن الكريم، ولكن متى تقوم الساعة بالتحديد؟ هذا لا يعلمه إلا الله، فالذين يحسبون الحسابات الآن من الدجاجلة، ويقولون: (تقوم الساعة في سنة كذا، أو في يوم كذا)، فهو لاء كذابون ودجالون؛ لأنه لا يعلم وقت قيام الساعة إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والملائكة لا يعلمون، والرسل لا يعلمون، فكيف يعلمها هؤلاء، هذا كله كذب وتدجيل، وليس المهم أن تعلم متى تقوم الساعة، المهم أن تعمل لها، ولذلك لما سأل رجل النبي ﷺ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قال: «وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟»^(٣)، فالمدار على العمل، وليس المهم أن تعرف متى

(١) أخرجه مسلم (٥٩) (٢٨٦١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ، رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشْرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَتُحْشَرُ بِقِيَّتِهِمُ النَّارُ تَبِيتُ مَعَهُمْ، حَيْثُ بَاتُوا وَتَقْبِلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا».

(٢) سبق تخريجه (ص ٩١).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٨٨)، ومسلم (١٦٣) (٢٦٣٩) عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟». قَالَ: لَا شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ، فَقَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرَحْنَا بِشَيْءٍ، فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»، قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحَبِي إِيَاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ».

تقوم الساعة، فهذا ليس لك فيه مصلحة، ولو كان فيه مصلحة، لبينه الله لنا؛ ولهذا فإن المشركين من شدة تحديهم للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتكذيبهم له يسألون الرسول إذا دعاهم إلى العمل الصالح وإلى الاستعداد للساعة، قالوا: متى تقوم الساعة؟ والله يجيبهم: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، فليس من مهمة الرسول أن يعلمهم قيام الساعة، وإنما مهمة الرسول أن يدعوهم إلى التوحيد والعبادة والعمل الصالح، وينهاهم عن الشرك والكفر والمعاصي، هذه مهمة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣].

وقيام الساعة الكبرى يحصل على الناس جميعاً، وأما بالنسبة للأفراد، فكل من مات، فقد قامت قيامته، وحصلت ساعته، ومن مات، انتهى من هذه الدنيا، ودخل في البرزخ الذي بين الدنيا والآخرة، فالإيمان بقيام الساعة واليوم الآخر، وبما في اليوم الآخر من جنة ونار، ومن حساب وعقاب، وموازن، وصحف الأعمال، وإعطاء الناس صحفهم باليمين أو بالشمال، فهذا كله من أمور القيامة وما يجري فيها، والصراط الذي على متن جهنم يمر عليه الخلق، كل هذا من أمور يوم القيامة، التي يجب الإيمان بها، ولا يجوز الشك في شيء منها.

فالمشركون أنكروا البعث؛ وذلك لأنهم قاسوا قدرة الله على قدرتهم، فقالوا: (كيف يموت الإنسان، ويصير تراباً ورميماً، ثم يبعث، وتدب فيه الحياة مرة ثانية، ويحيا؟! ذلك رجع بعيد)، قالوا: ﴿أَءَاذُنَا نُرَابًا وَّعِظْمًا

أَنَّا لَمَبْعُوثُونَ ❁ [الصافات: ١٦]، وقالوا: ﴿أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَّرَفًا أَنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ❁ [الإسراء: ٤٩].

هذا منتهى عقولهم، ونسوا قدرة الله، وأن الله لا يعجزه شيء، والله جَلَّوَعَلَا رد عليهم بأدلة في القرآن الكريم، منها:

أن الذي قدر على بداءتهم قادر على إعادتهم، وهو خلقهم من غير شيء، وأوجدهم من عدم، فهو قادر على أن يعيدهم.

والله جَلَّوَعَلَا يحيي الأرض بعد موتها بالنبات، فكَذَلِكَ الْبَعْثُ، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ❁ [فصلت: ٣٩]، فكما ينبت النبات من الأرض ينبت الأجسام أيضاً من تراب، فالتراب الذي تحلل يعيده الله عَزَّوَجَلَّ كما كان، قال تعالى: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيفٌ ❁ [ق: ٤]. فالله يعيدهم، وإن كانوا قد تحللوا، وصاروا تراباً، فهذا التراب المتحلل من أجسادهم يعيده الله كما كان أجساماً متحركة حية سمیعة بصيرة، فهو لا يعجزه شيء.

والله الذي خلق السماوات والأرض أليس قادراً على أن يعيد هذا الإنسان؟! هذا من باب أولى، قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ❁ [غافر: ٥٧].

فالذي خلق السماوات والأرض قادر على أن يعيد هذا الإنسان إلى الحياة كما كان. فهذه أدلة قاطعة، ذكرها الله في القرآن، تدمغ هؤلاء الكفرة،

الذين أنكروا البعث، وعجزوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ أَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ، تعالى الله عما يقولون!

وأما أهل الإيمان العالمون بقدره الله؛ فإنهم لا يشكل عليهم ذلك، ويؤمنون به تمامًا؛ بناءً على خبر الله عَزَّجَلَّ، وأن الله قادر على كل شيء، ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧]، فالله يبعث من في القبور، ولو صاروا ترابًا ورميمًا، فالله لا يعجزه شيء.



وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ يَمُوتُ^[١]، كَمَا بَدَأَهُمْ يُعَوِّدُونَ^[٢]. وَأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
ضَاعَفَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْحَسَنَاتِ^[٣]،

الشرح

[١] أي: يحييه من الموت للحساب والجزاء.

[٢] فكما بدأكم أول مرة تعودون للحياة - بإذن الله - مرة أخرى كما
كنتم، فالذي قدر على ابتدائكم قادر على إعادتكم من باب أولى، قال تعالى:
﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الرؤم: ٢٧].

[٣] ففي يوم القيامة يجازي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عباده على أعمالهم، ﴿وَلَا
يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]. كل يجازى بعمله؛ إن خيرًا، فخير، وإن شرًا،
فشر؛ فالؤمنون تضاعف لهم الحسنات التي عملوها في الدنيا، تضاعف من
فضل الله، ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، فتضاعف
الحسنة إلى عشرة أضعاف، وإلى سبعمائة ضعف، وإلى أضعاف كثيرة لا يعلمها
إلا الله، وهذا من فضله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإذا كان لهم سيئات دون الشرك ودون
الكفر؛ فإن الله جَلَّ وَعَلَا إما أن يعذبهم بها بقدرها، وإما أن يعفو عنهم، هذا
لأهل الإيمان خاصة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ
ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]؛ أي: ما دون الشرك ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]،
فإما أن يغفرها لهم، ويمحوها عنهم، أو يعذبهم بها في النار، ثم يخرجهم منها
إلى الجنة، هذا في الكبائر التي دون الشرك.

فالدنوب تنقسم إلى كبائر وصغائر، بدليل هذه الآية: ﴿إِنْ مَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]، فالصغائر تُكْفَرُ، ولو لم يتب منها الإنسان، فتُكْفَرُ باجتناّب الكبائر، فمن تجنب الكبائر، فإن الله يغفر له الصغائر، وتُكْفَرُ الصغائر -أيضًا- بالأعمال الصالحة، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا»^(١).

وتُكْفَرُ السيئات الصغائر -أيضًا- بالمصائب التي تصيب الإنسان في هذه الدنيا، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حَزَنٍ، وَلَا أَذًى، وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»^(٢)، فالمصائب كفارات للمسلم، وتُكْفَرُ بمكفرات أخرى.

والكبائر يقولون في تعريفها: ما ترتب عليه حد في الدنيا؛ كالزنا والسرقة وشرب الخمر، أو عليه وعيد في الآخرة من غضب الله، والنار.. إلى غير ذلك^(٣)، فما عليه وعيد في الآخرة، فهو كبيرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ

(١) أخرجه الترمذي (١٩٨٧) من حديث أبي ذرٍّ جُنْدُبِ بْنِ جُنَادَةَ، وأبي عبد الرحمن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٤١)، ومسلم (٥٢) (٢٥٧٣) من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) قال ابن عبد القوي رَحِمَهُ اللَّهُ:

فما كان فيه حد في الدنيا أو توعّد

وزاد حفيد المجد أو جاء وعيده

بأخرى فسم كبرى على نص أحمد

بنفسى لإيمان ولعن لمبعد

انظر: غذاء الألباب بشرح منظومة الآداب للسفاريني (١/ ٢٨٧).

يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلَيْتَمَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ
سَعِيرًا ❁ [النساء: ١٠].

فالكبيرة إذا: ما عليه حد في الدنيا، أو وعيد في الآخرة، أو ختم بلعنة
الله أو غضبه، أو بالوعيد من النار والعذاب. وما عداها، فهو من الصغائر،
وتكفر بها سبق، قال تعالى: ❁ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ❁
[النجم: ٣٢]، اللمم: صغائر الذنوب.

❁ إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ ❁ [النجم: ٣٢].



وَصَفَحَ لَهُمْ بِالتَّوْبَةِ عَنِ كِبَائِرِ السَّيِّئَاتِ ^[١]، وَغَفَرَ لَهُمُ الصَّغَائِرَ بِاجْتِنَابِ
الْكِبَائِرِ ^[٢]، وَجَعَلَ مَنْ لَمْ يَتُبْ مِنَ الْكِبَائِرِ صَائِرًا إِلَى مَشِيئَتِهِ ^[٣]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا
يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].
وَمَنْ عَاقَبَهُ اللَّهُ بِنَارِهِ أَخْرَجَهُ مِنْهَا بِإِيمَانِهِ، فَأَدْخَلَهُ بِهِ جَنَّتَهُ ^[٤]، ﴿فَمَنْ
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧] ^[٥]،

❁ الشرح ❁

[١] فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِذَا شَاءَ، غَفَرَ لَهُمْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ
يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

[٢] قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَجَتَبَنُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ
سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]، فَهَذَا أَحَدُ الْمَكْفَرَاتِ
لِلصَّغَائِرِ.

[٣] وَتَكْفِرُ الصَّغَائِرَ - أَيْضًا - بِالتَّوْبَةِ، وَإِذَا لَمْ يَتُبْ، وَمَاتَ مَصْرًا عَلَيْهَا،
وَهِيَ دُونَ الشَّرْكَ، فَهُوَ صَائِرٌ إِلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ
وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

[٤] وَمَنْ عَاقَبَهُ اللَّهُ عَلَى الْكِبَائِرِ فِي الْآخِرَةِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ يُخْرِجُهُ مِنَ
النَّارِ، وَيُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ، فَمَصِيرُهُ إِلَى الْجَنَّةِ بِإِيمَانِهِ وَتَوْحِيدِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُشْرِكُ،
فَلَا طَمَعَ لَهُ فِي الْجَنَّةِ، وَلَا فِي رَحْمَةِ اللَّهِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ -، فَلَا يَخْلُدُ فِي النَّارِ إِلَّا
الْمُشْرِكُونَ وَالْكَافِرُونَ، وَأَمَّا عَصَاةُ الْمُؤْمِنِينَ، فَهُمْ وَإِنْ دَخَلُوا النَّارَ وَعَذِبُوا فِيهَا؛
فَإِنَّهُمْ يُخْرَجُونَ مِنْهَا، وَيُصِيرُونَ إِلَى الْجَنَّةِ.

فقلوه: (أَخْرَجَهُ مِنْهَا بِإِيمَانِهِ)؛ أي: بتوحيده.

[٥] قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ

يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، فالإنسان يلاقي عمله خيراً
كان أو شراً، لا يهملُ منه شيء، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ
تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

أما السيئة، فلا تضاعف، وإنما يجازى بمثلها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ جَاءَ
بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، ولا تضاعف؛ لأن هذا يخالف
العدل من الله عزَّ وجلَّ؛ أن يضاعف عليه السيئة، وهو لم يعمل إلا سيئة
واحدة، أو يغفرها الله له، إذا كان مسلماً؛ لأن التعذيب على السيئة عدل
من الله، ومضاعفة الحسنات فضل من الله عزَّ وجلَّ، تفضل به، ولكن السيئات
لا تضاعف، ولكن قد تغلظ بسبب حرمة الزمان، فإذا عصى الله في الوقت
الفاضل؛ كشهر رمضان وأشهر الحج، فقد تغلظ عقوبته، ولا تعدد، أو
لحرمة المكان؛ مثل السيئة في الحرم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَافِ
بُظْلَمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]، فالسيئة تغلظ في الزمان الفاضل،
وفي المكان الفاضل؛ لأنه انتهك الحرمة.



وَيُخْرِجُ مِنْهَا بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ شَفَعَ لَهُ مِنْ أَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِهِ^[١].

الشرح

[١] عصاة المؤمنين يخرجون من النار إما بفضل الله سبحانه وتعالى، وإما بشفاعه الشافعين، وأعظم الشفعاء هو محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن الله يشفعه في من شاء؛ إكرامًا للشافع، ورحمة بالمشفوع، وكذلك شفاعة الملائكة^(١)، وشفاعة الأولياء والصالحين^(٢)، وشفاعة الأفرط^(٣) والأطفال الذين ماتوا صغارًا^(٤)، كلهم يعطيهم الله الشفاعة يوم القيامة في أهل الإيمان الذين دخلوا

(١) كما في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه مسلم (١٨٣) أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ».

(٢) كما في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه مسلم (١٨٣) أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشِدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ، مِنْ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا، وَيُصَلُّونَ، وَيُحْجُونَ. فَيَقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ».

(٣) الأفرط: هم الأولاد الصغار الذين ماتوا قبل آبائهم. انظر لسان العرب (٣٦٦/٧) مادة (فرط).

(٤) كما في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الذي أخرجه الترمذي (١٠٦٢)، وأحمد في المسند (٣٣٤/١)، وأبو يعلى (١٣٨/٥)، والطبراني في الكبير (١٢٨٨٠)، والبيهقي في الكبرى (٦٨/٤) أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ مَاتَ لَهُ فَرْطَانٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ»، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَمَنْ مَاتَ لَهُ فَرْطٌ؟ قَالَ: «وَمَنْ مَاتَ لَهُ فَرْطٌ بَا مُوَفَّقَةٌ»، قَالَتْ: فَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فَرْطٌ؟ قَالَ: «فَأَنَا فَرْطٌ أُمَّتِي لَمْ يَصَابُوا بِجَنَّتِي».

النار؛ أن يخرجوا منها، والذين استحقوا دخولها أن لا يدخلوها، يشفعون فيهم، فيخرجهم الله من النار.

والشفاعة لها شرطان:

الشرط الأول: أن تكون بإذن الله، قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الشرط الثاني: أن يكون المشفوع فيه من أهل الإيمان، أما الكفار والمشركون، فلا تنفعهم شفاعة الشافعين، قال تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، وقال تعالى: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].



= وأخرج النسائي في المجتبى (٢٢/٤)، وأحمد في المسند (٤٣٦/٣)، وابن أبي شيبة (٣٦/٣)، وابن حبان في صحيحه (٢٠٩/٧)، والطبراني في الكبير (٥٤)، والحاكم في المستدرک (٥٤١/١) من حديث معاوية بن قرة عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِرَجُلٍ مَاتَ لَهُ وَلَدٌ: «أَمَّا يَسْرُكَ أَلَا تَأْتِي بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدَتْهُ يَنْتَظِرُكَ». فَقَالَ رَجُلٌ: أَلَهُ خَاصَّةٌ أَوْ لِكُلِّنَا؟ قَالَ: «بَلْ لِكُلِّكُمْ».

وَأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ خَلَقَ الْجَنَّةَ فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لِأَوْلِيَائِهِ^[١]،

الشرح

[١] من أمور الآخرة: الجنة والنار؛ النار أعدها الله للكافرين، والجنة أعدها الله للمتقين، وهما مخلوقتان الآن، ولا يتأخر خلقهما إلى يوم القيامة - كما يقوله أهل الضلال -، وإنما هما مخلوقتان الآن؛ لأن الله قال: ﴿أَعَدَّتْ﴾، وهذا فعل ماضٍ، فيدل على أنها معدة ومخلوقة، ومما يدل على هذا - أيضاً -: ما جعل الله للجنة من نفس يجده المؤمنون في الدنيا بالروائح الطيبة، وكذا للنار، وما يجده المؤمنون من شدة الحر والبرد؛ كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «شِدَّةُ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ»^(١)، فالأدلة تدل على وجود الجنة والنار الآن.

وقوله: (فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لِأَوْلِيَائِهِ)، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وأولياء الله هم: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣].



(١) أخرجه البخاري (٥٣٣)، ومسلم (١٨٠) (٦١٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَنَافِعٍ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهَا حَدَّثَاهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ فَأَبْرِدُوا عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحَرِّ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ».

وَأَكْرَمَهُمْ فِيهَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ^[١]،

الشرح

[١] قوله: (وَأَكْرَمَهُمْ فِيهَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ)؛ أي: ومما أكرم الله به أهل الجنة، بل أعظم ما يكرم الله به أهل الجنة النظر إلى وجهه الكريم؛ لما آمنوا به في الدنيا، ولم يروه، فإن الله يتجلى لهم يوم القيامة في الجنة، ويرونه، وتقر أعينهم برؤيته، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ»^(١)، وفي رواية سئل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟» قَالُوا: لَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرُونَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ»^(٢)؛ إكراماً لأهل الإيمان الذين آمنوا به في الدنيا، ولم يروه، وإنما آمنوا به بالأدلة القاطعة التي دلت عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وبإخبار الرسل، وبالآيات

(١) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٢١١) (٦٣٣) عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ - يَعْنِي الْبَدْرَ - فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تَضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تَغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩].

(٢) أخرجه البخاري (٨٠٦، ٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «قَالَ: أُنَاسٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ تَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ»، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ»، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرُونَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ...».

القرآنية، والآيات الكونية، فالله يكرمهم يوم القيامة بأن يروه، أما في الدنيا، فلا أحد يراه؛ لأن بني آدم لا يقدرّون على رؤية الله عَزَّوَجَلَّ لعظمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لا أحد في هذه الدنيا يقدر على رؤية الله، حتى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما عرج به، وقرب من الله، قيل له: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»^(١)؛ يعني: أن حجاب النور، فلم يره، ولا يراه أحد في هذه الدنيا، أما في الآخرة، فإن الله يكرم أهل الإيمان، ويعطيهم قوة على رؤيته، أما في الدنيا، فلو تجلّى لأحد منهم، هلك؛ ولهذا فإن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لما جاء إلى ميقات ربه وكلمه ربه، قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]؛ لأنه اشتاق إلى ربه.

﴿قَالَ لَنْ تَرِنِي﴾؛ يعني: في الدنيا.

﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي﴾ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا، فاندك الجبل الصلب القوي، وصار تراباً من عظمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

﴿وَحَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]؛ يعني: غشي عليه عَلَيْهِ السَّلَامُ من شدة الهول، مع أنه لم ير ربه؛ فالله أراد أن يبين له أنه لا يراه في هذه الدنيا، ولا يستطيع رؤيته.

وأما الكفار، فلما كفروا به في الدنيا، وكذبوا بآياته، حجبهم الله عن رؤيته يوم القيامة، قال الله جَلَّوَعَلَا: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِيزٍ﴾؛ يعني: يوم القيامة. ﴿لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]؛ إهانة لهم، فلا يرون ربهم؛ لأنهم جحدوا به في الدنيا، وكفروا به، فالله جَلَّوَعَلَا حرمهم من رؤيته يوم القيامة.

(١) أخرجه مسلم [١٩٢، ١٩١ (١٧٨)] من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَهِيَ الَّتِي أَهْبَطَ مِنْهَا آدَمُ نَبِيَّهُ^[١] وَخَلِيفَتُهُ إِلَى أَرْضِهِ^[٢]، بِمَا سَبَقَ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ.

الشرح

[١] هل هذه الجنة هي التي أسكنها الله آدم، أو هي جنة أخرى؟ على قولين: والصحيح: أنها الجنة التي أخبر الله عنها، قال المؤلف: (وَهِيَ الَّتِي أَهْبَطَ مِنْهَا آدَمُ نَبِيَّهُ)؛ لأن آدم نبيُّ مُكَلَّمٍ^(١).

[٢] هذه فيها نظر؛ لأن الله ليس له خليفة، بل الله هو الخليفة؛ كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دعاء السفر: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ»^(٢)، فالله لا يستخلف أحداً نيابة عنه، وإنما البشر يخلف بعضهم

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٧٨/٥)، والبخاري في تاريخه (٢٩/١)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٦٥/٧)، وابن حبان في صحيحه (٧٦/٢)، والبخاري في مسنده (٤٢٦/٩)، (٤٢٧)، والطبراني في مسنده (ص ٦٥)، والطبراني في الكبير (٧٨٧١)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٤٨/١) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٤٢٥) (١٣٤٢)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ، كَبَّرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا، وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعَثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ»، وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ: «آيَبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ».

بعضًا، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ﴾ [الأنعام: ١٦٥]؛ يعني: يخلف بعضكم بعضًا.

أما قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]؛ يعني: يخلف من قبله في الأرض، وليس يخلف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إلا إن كان المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ يريد بخليفته هنا ما ذكره الله في قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، فاستخدم عبارة الآية؛ يعني: جعله خليفة من قبله من سكان الأرض.



وَخَلَقَ النَّارَ فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لِمَن كَفَرَ بِهِ وَالْحَدِّ فِي آيَاتِهِ وَكُتِبَ وَرُسُلِهِ،
وَجَعَلَهُمْ مَّحْجُوبِينَ عَنْ رُؤْيَيْهِ ^[١].

الشرح

[١] الإيمان باليوم الآخر يتضمن كل ما يجري فيه؛ مما ذكره الله في كتابه، أو ذكره الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سنته، فيجب علينا أن نؤمن بكل ما يجري في اليوم الآخر من الأحوال، ونؤمن بأن الجنة خلقها الله جَلَّ وَعَلَا، وأعدّها لعباده المتقين المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [البقرة: ٢٥]، هذه دار المؤمنين يوم القيامة، وهي دار مؤبدة، لا يخرجون منها، ولا يموتون، ولا يمرضون، ولا يهرمون، ولا يصيبهم فيها مكروه، بل فيها نعيم دائم ومستمر.

ومما يكون في الآخرة: النار التي خلقها الله، وأعدّها للكافرين، قال تعالى: ﴿إِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤]، فالجنة والنار مخلوقتان الآن، بدليل قوله: ﴿أُعِدَّتْ﴾ فعل ماضٍ؛ لا أنها تخلق يوم القيامة، فكلتاهما قد أعدت؛ الجنة أعدت للمتقين، والنار أعدت للكافرين ومما يدل على وجود النار أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «اشْتَكَّتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: رَبِّ أَكُلْ بَعْضِي بَعْضًا، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفْسَيْنِ: نَفْسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفْسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ،

وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهِيرِ^(١)، فیدل هذا على أنها موجودة ومعدة ومهيأة الآن.

والإيمان بالجنة والنار داخل في الإيمان باليوم الآخر؛ كما في الحديث: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ»^(٢).

الشاهد في قوله: «وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ»، فدل هذا على أنه يجب الإيمان بالجنة والنار، ولا يكفي أن تؤمن بالجنة والنار؛ بل لابد أن تعمل الأعمال التي تسبب لك دخول الجنة، وأن تجتنب الأعمال التي تسبب لك دخول النار.



(١) أخرجه البخاري (٣٢٦٠)، ومسلم (١٨٥) (٦١٧) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨) من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْمَلَكُ صَفًا صَفًّا؛ لِعَرْضِ الْأُمَمِ وَحِسَابِهَا وَعُقُوبَتِهَا وَنَوَابِهَا^[١].

الشرح

[١] وما يكون في يوم القيامة، ويجب أن نؤمن به: أن الله يجيء لفصل القضاء بين عباده، يجيء ويأتي، قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، وقال: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۖ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢١-٢٢]، فيجيء الله جلَّ وعَلَا، وتجيء الملائكة، ويكونون صفوفًا، يحيطون بالخلق في المحشر، يجيء الله لفصل القضاء بين عباده؛ كما يليق بجلاله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، هذا مما أخبر الله به، وأخبر به الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو من الصفات الفعلية لله جلَّ وعَلَا، وكيف يأتي؟ هذا لا ندرى عنه؛ فالكيفية لا نعلمها، لكن بأنه يأتي كما شاء سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، وأما حصول المجيء والإتيان، فإننا نؤمن بهما، وهذا من العقيدة، أما من يؤولون المجيء بأنه يجيء أمره، فهذا تأويل باطل؛ لأن الله أخبر بأنه يأتي ويجيء هو بنفسه جلَّ وعَلَا، ولم يقل: (يأتي أمري)، وإنما يأتي هو سُبحَانَهُ وَتَعَالَى بذاته مجيئًا يليق بجلاله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، وذلك أن الناس يحشرون قائمين على أقدامهم حفاة عراة غرلا^(١)، وتدنو

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٣٣٤٩، ٣٤٤٧، ٤٦٢٥، ٤٦٢٦، ٤٧٤٠، ٦٥٢٤، ٦٥٢٥، ٦٥٢٦)، ومسلم (٢٨٦٠): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ عَلَى الْمِنْبَرِ، يَقُولُ: «إِنَّكُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ حَفَاةَ عُرَاةَ غُرُلَا».

منهم الشمس، ويأخذ منهم العرق ما يأخذ بحسب أعمالهم^(١)، فيصيبهم شدة وهول، قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [٤: ٥-٥]، في مدة خمسين ألف سنة، وهم واقفون في شدة الحر والزحمة، القدم على القدم، الأولون والآخرين، عند ذلك يتقدمون إلى من يشفع لهم عند الله لفصل القضاء بينهم، وإراحتهم من المحشر، فيأتون إلى آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أبي البشرية، ويقولون: «أَنْتَ أَبُو النَّاسِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتُهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا»، فيذكر آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ما حصل منه من الأكل من الشجرة، فيعتذر، فيأتون إلى نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ أول رسول إلى أهل الأرض، فيطلبون منه الشفاعة عند الله، فيعتذر بأنه راجع الله في ابنه: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ، فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥]، فقال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَكَلَّمْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَِّّي أَعْطُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦]، فاستغفر نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ ربه، قال: ﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَتَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [هود: ٤٧]، فيعتذر منهم.

(١) كما في حديث المقداد بن الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه مسلم (٦٢) (٢٨٦٤) أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «تُدْنِي الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ - قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا يَعْنِي بِالمِيلِ؟ أَمَسَافَةُ الْأَرْضِ، أَمْ المِيلُ الَّذِي تُتَحَوَّلُ بِهِ الْعَيْنُ - قَالَ: «فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِنْجَامًا». قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ».

«فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ - فَذَكَرْهُمْ أَبُو حَيَّانَ فِي الْحَدِيثِ - نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى».

فيأتون موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويقولون: «يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَضْلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُؤْمَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ».

فيأتون إلى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويقولون: «يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرَوْحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَضَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ»، فيقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا لَهَا»، ثم يأتي ويسجد لربه، ويدعو الله، ويحمده بمحامد، ولا يزال ساجدًا بين

يدي ربه، حتى يقال له: «يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تَشْفَعْ»^(١)،
فيشفع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيهم.



(١) كما في حديث الشفاعة الذي ورد بعدة ألفاظ، منها: ما أخرجه البخاري (٧٥١٠)،
ومسلم [٣٢٢ (١٩٣)]، و[٣٢٦ (١٩٢)] بلفظ أتم، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وأخرجه البخاري (٤٧١٢) ومسلم [٣٢٧ (١٩٤)]، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وأخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم [٣٠٢ (١٨٣)]، من حديث أبي سعيد الخدري
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَتُوضَعُ الْمَوَازِينُ لَوَزْنِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ، فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ^[١].

الشرح

[١] كذلك مما يجب الإيمان به من أمور يوم القيامة: الموازين^(١)، وهي موازين الأعمال؛ كما أخبر الله بذلك بقوله: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿[الأعراف: ٨-٩]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٣]، نسأل الله العافية!

وذلك أنه يكون هناك ميزان، له كفتان ولسان^(٢)، ثم توضع الحسنات في

(١) كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٦٦٨٢، ٧٥٦٣)، ومسلم (٢٦٩٤): عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ».

(٢) ورد ذكر الكفتين في عدد من الأحاديث، منها: حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٤/١٠٢)، والحاكم في المستدرک (١/٢٢٨) وصححه، وفيه: «يَا مُوسَى لَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَعَايِرُهُنَّ غَيْرِي، وَالْأَرْضَ بَيْنَ السَّبْعِ فِي كِفَّةٍ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ مَالَتْ بِهِمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وروى أحمد في المسند (٢/١٦٩، ١٧٠) نحوه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقد ورد ذكر الكفة في حديث البطاقة الذي أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد (٢/٢١٧)، والحاكم (١/٦) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقد ورد ذكر اللسان مع الكفتين

كفة، وتوضع السيئات في كفة، فإن رجحت حسناته، دخل الجنة، وإن رجحت سيئاته، دخل النار، وهذا من عدل الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، وأنه لا يظلم أحداً. فيجب الإيمان بهذا الميزان، وأنه ميزان حقيقي، وأنه توزن فيه الأعمال؛ كما أخبر الله وأخبر رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والمعتزلة يقولون: (هو ميزان معنوي، وليس ميزاناً حقيقاً، وإنما هو كناية عن إقامة العدل يوم القيامة)؛ فهذا كلام باطل وتأويل فاسد، ولا يجوز تحريف النصوص الصريحة الصحيحة عن معانيها، وإذا أولوها وصرفوها، فهذا ليس من الإيمان؛ لأن الإيمان أن تؤمن بما جاء من عند الله وعن رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على حقيقته.

فالموازن حق، وتوزن فيها الأعمال يوم القيامة، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۖ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۖ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارُ حَامِيَةٍ ۖ﴾ [الفارعة: ٦-١١]، هذا هو الميزان، وهو ما توزن به الأعمال؛ خيرها وشرها.

عند البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٦٣) عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «المِيزَانُ لَهُ لِسَانٌ وَكِفَتَانِ يَوَزَنُ فِيهِ الْحَسَنَاتُ، وَالسَّيِّئَاتُ، فَيُؤْتَى بِالْحَسَنَاتِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ فَيُوضَعُ فِي كِفَةِ الْمِيزَانِ فَتَنْقَلُ عَلَى السَّيِّئَاتِ. قَالَ: فَيُؤْخَذُ فَيُوضَعُ فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ مَنَازِلِهِ ثُمَّ يُقَالُ لِلْمُؤْمِنِ الْحَقُّ بِعَمَلِكَ. قَالَ: فَيَنْطَلِقُ إِلَى الْجَنَّةِ فَيَعْرِفُ مَنَازِلَهُ بِعَمَلِهِ. قَالَ: وَيُؤْتَى بِالسَّيِّئَاتِ فِي أَفْجَحِ صُورَةٍ فَيُوضَعُ فِي كِفَةِ الْمِيزَانِ فَتُخَفَّفُ، وَالْبَاطِلُ خَفِيفٌ فَيُطْرَحُ فِي جَهَنَّمَ إِلَى مَنَازِلِهِ مِنْهَا وَيُقَالُ لَهُ: الْحَقُّ بِعَمَلِكَ إِلَى النَّارِ. قَالَ: فَيَأْتِي النَّارَ فَيَعْرِفُ مَنَازِلَهُ بِعَمَلِهِ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ فِيهَا مِنْ أَلْوَانِ الْعَذَابِ»، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَلَهُمْ أَعْرَفُ بِمَنَازِلِهِمْ فِي الْجَنَّةِ وَالنَّارِ بِعَمَلِهِمْ مِنَ الْقَوْمِ فَيَنْصَرِفُونَ يَوْمَ الْجُمُعِ رَاجِعِينَ إِلَى مَنَازِلِهِمْ».

وَيُؤْتُونَ صَحَائِفَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ^[١]، فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ
حِسَابًا يَسِيرًا^[٢]، وَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَأُولَئِكَ يَصْلَوْنَ سَعِيرًا^[٣](١).

الشرح

[١] وكذلك مما يكون في يوم القيامة: إعطاء الصحف للناس، وهي صحائف الأعمال؛ لأن أعمالنا تكتبها علينا الملائكة، قال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَفَّى الْمَتَلَفِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ ۖ مَا يُلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧-١٨]، فهم يكتبون ما يصدر عنا من الأعمال والأقوال، ويسجلونه في صحائف، وهذه الصحف تعطى لأصحابها يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ [١٣] أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿ [الإسراء: ١٣-١٤]،

(١) أخرج ابن ماجه (٤٢٧٧)، والإمام أحمد في مسنده (٤١٤/٤)، والطبري في تفسيره (٥٩/٢٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٣٣٧١/١٠)، واللالكائي في اعتقاد أهل السنة (١١٨٣/٦) من طريق الحسن عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُعْرَضُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَ عَرَضَاتٍ: فَأَمَّا عَرَضَتَانِ، فَحَدَالٌ، وَمَعَاذِيرٌ، وَأَمَّا الثَّالِثَةُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَطِيرُ الصُّحُفُ فِي الْأَيْدِي، فَآخِذٌ بِيَمِينِهِ، وَآخِذٌ بِشِمَالِهِ»، وأخرجه الترمذي (٢٤٢٥) من طريق الحسن عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وإسناد الروایتين رجاله ثقات إلا أن فيها انقطاع؛ لأن الحسن لم يسمع من أبي موسى وأبي هريرة، قاله أبو عيسى وابن المديني وأبو حاتم وأبو زرعة. انظر: مصباح الزجاجة (٤/٢٥٤)، وفتح الباري (١١/٤٠٣). وانظر: زاد المسير (٩/٦٤)، وتفسير البغوي (٤/٤٦٤)، وتفسير ابن كثير (٤/٤٩٠)، وفتح الباري (٨/٦٩٧)، والدر المنثور (٨/٤٥٧)، وفتح القدير (٥/٤٠٧).

ويقرؤه من كان يقرأ في الدنيا ومن لم يكن يقرأ؛ ليعرف عمله وجزاءه، فمنهم من يؤتى كتابه باليد اليمنى؛ إكرامًا له، فيفرح، ومنهم من يؤتى كتابه بشماله - والعياذ بالله -، فيحزن عند ذلك، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ فيقول هَؤُمِ اقْرَءُوا كِتَابِيَّةَ ﴿[الحاقة: ١٩]. يقول للناس من حوله فرحًا: ﴿اقْرَءُوا كِتَابِيَّةَ﴾ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةَ ﴿[الحاقة: ١٩-٢٠]؛ أي: تيقنت أنني ملاق الحساب، فعملت أعمالًا صالحة.

﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ ﴿[الحاقة: ٢١-٢٥]؛ أي: باليد اليسرى، ﴿فَيَقُولُ يَلَيِّنَنِي لِمَ أُوتِيَ كِتَابِيَّةَ﴾ ﴿[الحاقة: ٢٥]، يتمنى أنه لم يؤت كتابه؛ لأنه فضيحة وسوء.

﴿وَلَوْ أَدْرَاكَ مَا حِسَابِيَّةَ﴾ ﴿٢٦﴾ يَلَيِّنَهَا كَأَنَّ الْقَاضِيَةَ ﴿[الحاقة: ٢٦-٢٧]؛ أي: يقول: ليتني لم أبعث، ويا ليتها كانت الموتة النهائية، ولم أبعث، ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةَ﴾ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةَ ﴿[الحاقة: ٢٨-٢٩]؛ يتحسر - والعياذ بالله -، فيقول الله جَلَّ وَعَلَا لملائكته: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿[الحاقة: ٣٠-٣١]، إلى آخر الآيات.

فأهوال يوم القيامة صعبة، فما يلاقيه العباد يوم القيامة أهوال عظيمة وشدائد، لكن المؤمنين يكونون في مأمن، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾ ﴿٤١﴾ وَفَوْكَةٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿

[٢] هذا كما في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسُنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا

فَمُلَاقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦]، لابد من لقاء الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، وعند لقائه ينقسم الناس: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾؛ أي: باليد اليمنى، ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾، وهو العرض.

﴿وَيَقْلَبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: ٩]، ينقلب إلى الجنة وأهله في الجنة مسرورًا بما أعطاه الله.

[٣] ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ [الانشقاق: ١٠]؛ إهانة له، يؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره.

﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾، الثبور هو الهلاك؛ أي: سوف ينادي بالويل والهلاك، ويقول: يا ويلاه، يا ثبوراه.

﴿وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق: ١٢-١٣]؛ أي: مسرورًا في الدنيا بملاذها وشهواتها، ونسي الآخرة، ولم يعمل لها، فهذه من أحوال الناس يوم القيامة، ومن أهوال يوم القيامة، وسنلاقي هذه الشداد حقًا يقينًا.



وَأَنَّ الصِّرَاطَ حَقٌّ، يَجُوزُهُ الْعِبَادُ بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَنَاجُونَ مُتَفَاوِتُونَ فِي سُرْعَةِ النِّجَاحِ عَلَيْهِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَقَوْمٌ أَوْبَقَتْهُمْ فِيهَا أَعْمَالُهُمْ^[١].

الشرح

[١] كذلك مما يكون من أمور الآخرة وشدائدها وأهوالها: أنه ينصب صراط؛ أي: جسر على متن جهنم، أدق من الشعرة، وأحد من السيف^(١)، ثم يمر الناس عليه على قدر أعمالهم؛ فمنهم من يمر كالبرق الخاطف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يعدو عدواً على قدميه، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً، ومنهم من يخطف، فيلقى في جهنم، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾^(٦٨) ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُنِيًّا^(٦٩) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا^(٧٠) وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴿[مريم: ٦٨-٧١]؛ يعني: النار^(٢).

(١) كما في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطويل الذي أخرجه مسلم (١٨٣)، وفيه: قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: «بَلَّغْنِي أَنَّ الْجِسْرَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ، وَأَحَدٌ مِنَ السَّيْفِ».

(٢) كما في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطويل الذي أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، (٧٥٦٣)، ومسلم (١٨٣)، وفيه: «قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: «مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَالَلِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفْلَطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عَقِيقَاءُ، تَكُونُ بِتَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرَّيْحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَّابِ، فَتَاجِ مُسْلَمٍ، وَنَاجِ مَخْدُوشٍ، وَمَكْدُوسٍ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا».

وهذا هو المرور على الصراط، فليس هناك أحد إلا ويمر على الصراط:

المؤمن والكافر يمرون على هذا الصراط، ﴿كَانَ عَلَى رَيْكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿ [مريم: ٧١-٧٢]، فالمرور على الصراط مما يكون في يوم القيامة.

فقلوه: (وَأَنَّ الصِّرَاطَ حَقٌّ)؛ أي: يجب الإيمان به، بدليل هذه الآية:

﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، هذا وعد من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ كل الخلق يردون النار، والمتقون ينجون منها؛ لأن معهم أعمالاً تحملهم، والكافرون يقعون فيها؛ لأنهم ليس لهم أعمال صالحة تحملهم على الصراط.



وَالْإِيمَانُ بِحَوْضِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَرَدُّهُ أُمَّتُهُ لَا يَظْمَأُ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ، وَيَذَادُ عَنْهُ مَنْ بَدَّلَ وَغَيْرَ^[١].

الشرح

[١] مما يكون في الآخرة حوض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَرَدُّهُ أُمَّتُهُ؛ فيسقيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده، وهذا الحوض طوله مسافة شهر، وعرضه مسافة شهر، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأنيته عدد نجوم السماء، يشربون منه، فمن شرب منه شربة واحدة، لم يظمأ بعدها أبداً^(١)، ولكن هناك ناس يردون عليه ويطردون - والعياذ بالله -، يعرفهم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقول: «يَا رَبِّ أَصْحَابِي، أَصْحَابِي. فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»^(٢)، فأهل الردة والكفر والشرك والنفاق يطردون عن الحوض يوم القيامة، ولا يرده إلا أهل الإيمان الصادق، الذين ثبتوا على إيمانهم، هم الذين يردون الحوض على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويشربون منه.



(١) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٢٣٠٠)، عَنْ أَبِي دَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا آتِيَةُ الْحَوْضِ؟ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَبْقَى أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، إِلَّا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلَمَةِ الْمُصْحِيَةِ، آتِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ أَحَرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ».

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٩٧)، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَأَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَإِخْلَاصٌ بِالْقَلْبِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، يَزِيدُ
بِزِيَادَةِ الْأَعْمَالِ، وَيَنْقُصُ بِنَقْصِهَا، فَيَكُونُ فِيهَا النِّقْصُ وَبِهَا الزِّيَادَةُ^[١]،

الشرح

[١] من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، وأنه يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، هذا هو تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة^(١).

فهو قول باللسان: بأن تنطق بالشهادتين، والذكر، والتسبيح، والتهليل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتعليم، وغير ذلك من الأعمال القولية، وهي كثيرة، ولا يكفي القول باللسان؛ لأن المنافقين يقولون

(١) وقد نقل الإجماع على ذلك أكثر من واحد من أهل العلم، فقد قال الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ: «لقد طفت الأمصار، ولقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم كلهم يقول: الإيمان قول وعمل يزيد وينقص» اهـ. أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (١/١٧٣)، (١٧٤)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٢/٥٨، ٥٩)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (١٢/٤٠٧، ٤٠٨)، وذكره السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (٢/٢١٧)، وابن حجر في الفتح (١/٤٧).

وقال أيضًا: «كتبت عن ألف نفر من العلماء وزيادة، ولم أكتب إلا عمن قال: الإيمان قول وعمل» اهـ. أخرجه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٥/٨٨٩)، وذكره ابن حجر في الفتح (١/٤٧٩).

ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية الإجماع عن الشافعي، انظر: مجموع الفتاوى (٧/٣٠٨). وقال ابن عبد البر في التمهيد (٩/٢٣٨): «أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، والطاعات كلها عندهم إيمان» اهـ.

بألسنتهم: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَا رَسُولَ اللَّهِ اطْعِمْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ [النور: ٤٧]، فإن كان القول باللسان فقط، فليس هذا هو الإيمان، وكذلك ليس الإيمان هو الاعتقاد بالقلب فقط - كما تقول المرجئة -، وهو قول باطل، ولو كان كذلك، لكان الكفار مؤمنين؛ لأنهم يعتقدون بقلوبهم أن محمداً رسول الله، ولكن منعهم الكبر، ومنعهم الحسد، ومنعتهم الحمية الجاهلية لدين آبائهم من اتباع الرسول، وهم يعتقدون صدقه، قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِعَايَتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]، فليس الإيمان بالقلب فقط.

وكذلك ليس الإيمان بالقول والاعتقاد فقط، بل لابد من العمل بالجوارح؛ من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام، والأعمال الصالحة كلها تدخل في الإيمان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢-٤]، فذكر الأعمال.

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»^(١)، فدل على أن الإيمان قول باللسان، وهو «قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وسائر الأذكار الشرعية، وهذا أعلاها، وأدناها: «إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ»، وهذا عمل صالح، ولو كان قليلاً، فإنه من الإيمان، وكذلك الحياء

(١) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥) - واللفظ لمسلم -، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الذي يمنع الإنسان مما لا يليق، ومن المعاصي، ويمنعه من التفحش، ويمنعه من الأخلاق الذميمة، هذا حياء محمود، وهو من الإيَّان؛ كما في الحديث: «وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيْمَانِ».

فدل على أن الإيَّان شعب، وليس شيئاً واحداً، بل هو شعب كثيرة، فكل الأعمال الصالحة كلها من شعب الإيَّان.

أما المرجئة، فهم يخرجون الأعمال من حقيقة الإيَّان وتعريفه، وهم فرق:

- ١- منهم من يقول: (إن الإيَّان قول باللسان فقط)، وهم الكرامية^(١).
- ٢- ومنهم من يقول: (الإيَّان اعتقاد بالقلب فقط)، وهم الأشاعرة.
- ٣- ومنهم من يقول: (الإيَّان اعتقاد بالقلب، ونطق باللسان فقط، ولا يدخل فيه العمل)، وهم مرجئة الفقهاء^(٢).
- ٤- ومنهم من يقول: (الإيَّان مجرد المعرفة في القلب، وإن لم يعتقد)، وهم الجهمية، وهم شر فرق المرجئة، فكلهم متفقون على أن العمل لا يدخل في الإيَّان؛ ولذلك سمو بالمرجئة؛ من الإرجاء، وهو التأخير؛ لأنهم أخرجوا العمل عن مسمى الإيَّان.

(١) هو محمد بن كَرَّام بفتح الكاف وتشديد الراء، وهو الذي تنسب إليه الفرقة الكرامية، وقد نسب إليه جواز وضع الأحاديث على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، وكان يقول: الإيَّان هو نطق اللسان بالتوحيد مجرد عن عقد قلب وعمل جوارح، توفي سنة ٢٥٥ هـ. انظر: المنتظم (٩٧/١٢)، وتاريخ دمشق (١٢٧/٥٥)، والسير للذهبي (٥٢٣/١١)، والبداية والنهاية (٢٠/١١)، والأنس الجليل (٢٩٦/١)، وشذرات الذهب (١٣١/٢).

(٢) راجع كتاب الإيَّان من مجموع الفتاوى (٢٩٠/٧)، وما بعدها.

وأما كون الإيمان يزيد بالطاعة، فهذا في القرآن، قال تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]، وقال: ﴿وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ عَاقِبَتَهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]، وقال: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤]، فدلّت هذه الآيات على أن الإيمان يزيد.

وكذلك ينقص الإيمان بالمعصية ونقص العمل، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَذْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ»، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(١)، وفي لفظ آخر: «وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»^(٢)، فدل على أن الإيمان قد يكون ضعيفاً، وقد يكون قليلاً، وقد يكون مثقال حبة من خردل، وفي الحديث: أن الله تعالى يقول: «أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ»^(٣)، فيكون الإيمان مثقال حبة من خردل، وهذا أقل شيء، ولكن الله ينجي صاحبه يوم القيامة من النار بإيمانه، ولو كان قليلاً، فدل على أن الإيمان يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي، فكلما أطعت الله، زاد إيمانك، وكلما عصيت الله، نقص إيمانك.

والزيادة والنقص في الإيمان يكونان بالأعمال، فإن كثرت الأعمال الصالحة، زاد الإيمان، وإن نقصت، نقص الإيمان.

(١) أخرجه مسلم (٧٨) (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم (٨٠) (٥٠) من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (٢٢)، ومسلم (٣٠٤) (١٨٤) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَلَا يَكْمُلُ قَوْلُ الْإِيمَانِ إِلَّا بِالْعَمَلِ^[١]، وَلَا قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ^[٢]،
وَلَا قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ السَّنَةِ^[٣].

الشرح

[١] الإيمان يكون إيماناً كاملاً، ويكون إيماناً ناقصاً، وكمال الإيمان على نوعين: كمال واجب، أو كمال مستحب.

[٢] لا بد في القول والعمل أن يكون بنية، أما بدون نية، فلا يعتبر، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»^(١)، من قال كلمات طيبة، ولكنه لم ينو، فليس له شيء، وكذا من عمل عملاً بدون نية؛ كأن صلى تطوعاً، وصام، وتصدق، وليس له نية؛ هذا ليس له أجر؛ لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى».

[٣] ثم -أيضاً- لا بد من موافقة السنة، فمن قال قولاً، أو عمل عملاً يخالف السنة؛ فإن قوله وعمله باطل، ولا اعتبار له، حتى يعمل بسنة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولذلك من العلماء من يقول: (إن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، مع موافقة السنة)، يخرج بذلك المبتدعة؛ فالمبتدعة ليس عندهم إيمان؛ إما ليس عندهم إيمان أصلاً، وإما عندهم إيمان ناقص، ينقص البدع، نسأل الله العافية!

(١) أخرجه البخاري (١)، ومسلم (١٥٥) (١٩٠٧) من حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَأَنَّهُ لَا يَكْفُرُ أَحَدٌ بِذَنْبٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ^[١].

الشرح

[١] هذا أصل من أصول أهل السنة والجماعة؛ أن ما دون الشرك من الذنوب والمعاصي أنه محرم، وفيه وعيد، ولكن لا يصل صاحبه إلى حد الكفر - وهو الخروج من الملة -، ما دام أنه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويصوم رمضان، ويحج البيت، فإنه إذا حصل منه ذنب دون الشرك ودون الكفر؛ فإنه ينقسم إلى قسمين: إما كبائر، وإما صغائر. وعلى كلٍّ فالكبيرة والصغيرة دون الشرك لا تقتضي الكفر المخرج من الملة، قد تسمى كفراً أصغر، أما أنها تخرج من الملة، فهذا إنما يكون عند الخوارج^(١)، الذين يكفرون المسلمين بالكبائر، ويحكمون على مرتكبي الكبيرة بالخلود في النار، وهو مذهب باطل؛ ولذلك يكفرون أهل السنة، ويقاتلونهم، ويستحلون دماءهم وأموالهم؛ بناء على مذهبهم.

(١) هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حين جرى أمر المحكمين، واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة، وفيهم قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يَخْفَرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ، كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرِّمِيَّةِ». أخرجه البخاري (٢٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وكل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان. انظر: مقالات الإسلاميين (ص ٤، ٨٦)، والفرق بين الفرق (ص ٥٤)، والممل والنحل (١/ ١١٤).

وأما أهل السنة والجماعة، فيقولون: المعاصي تنقص الإيمان، ولكنها لا تخرج من الملة؛ كما دلت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة.

وقابل الخوارج المرجئة الذين يقولون: (إن الإيمان هو التصديق بالقلب؛ فما دام أنه مصدق بقلبه، فهو مؤمن، والعمل لا يدخل في حقيقة الإيمان؛ فإنه لا تضره المعصية، فضلاً عن أنه يكفر بها)، يقولون: (لا يضر مع الإيمان معصية؛ كما لا ينفع مع الكفر طاعة).

أما أنه لا ينفع مع الكفر طاعة، فهذا صحيح، أما أنه لا يضر مع الإيمان معصية، فهذا خطأ، فالمؤمن تضره المعصية، وإن كانت لا تخرجه من الملة، ولكنها تضره؛ فقد يعذب بها في النار، فأصحاب الكبائر عند أهل السنة والجماعة إن تابوا منها، تاب الله عليهم، وإن لم يتوبوا، فهم تحت المشيئة؛ إن شاء الله غفر لهم، وإن شاء عذبهم بقدرها، ثم يخرجون من النار، وقد يبقون في النار مدة طويلة، ولكنهم يخرجون منها - بإذن الله -؛ إما بشفاعة الشافعين، وإما بانتهاء مدة عذابهم، وإما برحمة الله، فمآلهم إلى الجنة؛ كما دلت على ذلك الأدلة الصحيحة، والله جَلَّ وَعَلَا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

فمرتكب الكبيرة دون الشرك تحت المشيئة: إن شاء الله غفر له، وإن شاء عذبه بها، ثم يدخله الجنة، وقد تصيبه مصائب في الدنيا، ويعاقب بمعصيته، فالمعصية تضر، وتنقص الإيمان؛ فلا يتهاون بها، ولكنها لا تصل إلى قول الخوارج: (إنه يكفر، وإنه يخلد في النار)، فكل المذهبيين باطل، ومذهب أهل السنة والجماعة هو الوسط بين المذهبيين الباطلين، وحق بين ضاللتين؛

فالخوارج أخذوا بنصوص الوعيد، وقالوا بإنفاذ الوعيد، والمرجئة أخذوا بنصوص الوعد، وأهل السنة والجماعة أخذوا بالأمرين: أخذوا بنصوص الوعيد وبنصوص الوعد، وقالوا: (هذا راجع إلى مشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى) ^(١).

ولكن قول المصنف: (لَا يَكْفُرُ أَحَدٌ بِذَنْبٍ) ليس على إطلاقه، فهناك ذنوب يكفر بها؛ مثل: ترك الصلاة، فمن ترك الصلاة متعمداً، فإنه يكفر به، بدليل الأحاديث، مثل قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ،

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: (٣/ ١٥١-١٥٢). انظر: (العقيدة الواسطية)

ضمن مجموع الفتاوى (فَصْلٌ: وَمِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ: أَنَّ الدِّينَ وَالْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ: قَوْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَعَمَلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ. وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَكْفُرُونَ أَهْلَ الْقِبْلَةِ بِمُطْلَقِ الْمَعَاصِي وَالْكِبَايِرِ كَمَا يَفْعَلُهُ الْخَوَارِجُ؛ بَلْ الْأُخُوَّةُ الْإِيمَانِيَّةُ ثَابِتَةٌ مَعَ الْمَعَاصِي كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي آيَةِ الْفِصَاصِ:

﴿فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَتْبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ، وَقَالَ: ﴿وَلِنْ طَائِفَتَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْتَنَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِئَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾، وَلَا يَسْلُبُونَ الْفَاسِقَ الْمِلِّيَّ اسْمَ الْإِيمَانِ بِالْكُلِّيَّةِ وَلَا يُحْلِدُونَهُ فِي النَّارِ كَمَا تَقُولُهُ الْمُعْتَزَلَةُ بَلْ الْفَاسِقُ يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾. وَقَدْ لَا يَدْخُلُ فِي اسْمِ الْإِيمَانِ الْمُطْلَقُ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾، وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَزِيهِ الرَّايِي حِينَ يَزِيهِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَنْتَهَبُ مَهْبَةً ذَاتَ شَرَفٍ يَرْفَعُ النَّاسَ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارُهُمْ حِينَ يَنْتَهَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ». وَيَقُولُونَ: هُوَ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الْإِيمَانِ أَوْ مُؤْمِنٌ بِإِيمَانِهِ فَاسِقٌ بِكِبَرِيَّتِهِ؛ فَلَا يُعْطَى الْاسْمُ الْمُطْلَقُ وَلَا يُسْلَبُ الْمُطْلَقُ الْاسْمُ).

فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»^(١)، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشُّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ»^(٢)، فترك الصلاة يكفر به.

وقوله: (مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ)؛ يعني: من المسلمين الموحدين، الذين يصلون إلى الكعبة، فالكعبة قبله المسلمين.



(١) أخرجه الترمذي (٢٦٢١)، والنسائي في الكبرى (١/١٤٥)، وابن ماجه (١٠٧٩)، وأحمد في المسند (٣٤٦/٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٦/١٦٧)، وابن حبان (٤/٣٠٥)، والدارقطني في سننه (٢/٥٢)، والبيهقي في الكبرى (٣/٣٦٦)، وشعب الإيمان (١/٧٢).

(٢) أخرجه مسلم (٨٢) من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَأَنَّ الشُّهَدَاءَ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ^[١]،

الشرح

[١] من أصول أهل السنة والجماعة: أن الشهداء - وهم الذين قتلوا في سبيل الله لإعلاء كلمة الله -، أنهم وإن ماتوا في الدنيا، وانتهت حياتهم من الدنيا، إلا أنهم أحياء في البرزخ (أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]؛ أي: لا تشعرون بحياتهم؛ لأنها حياة برزخية، ومن أمور الآخرة وأمور الغيب، فنحن نؤمن بأنهم أحياء، ولكنها ليست كحياتهم على الأرض؛ ولذلك تقسم أموالهم بعد قتلهم، وتعتد نساؤهم عدة الوفاة، وأما في الآخرة، فإنهم أحياء حياة برزخية، والمراد بهم: الذين قتلوا في سبيل الله، يجاهدون في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، هؤلاء هم الشهداء، وقد سئل صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الرَّجُلُ: يُقَاتِلُ حِمَّةً، وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ رِبَاءً، فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^(١).

والقتال في سبيل الله له ضوابط؛ فليس لأي أحد أن يأخذ السلاح، ويقتل، ويفجر، وإنما لا بد أن يكون الجهاد في سبيل الله تحت قيادة ولي أمر

(١) أخرجه البخاري (١٢٣)، ومسلم (١٥٠) (١٩٠٤) من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

المسلمين، إما أن يباشر القيادة، وإما أن يقيم بدلاً منه من يقود الجيش في سبيل الله؛ لأن إقامة الجهاد من اختصاص ولي الأمر، ويجاهد المسلمون معه؛ برًّا كان أو فاجرًا، ما دام أنه لم يكفر، وأمر بالجهاد، فإنه يطاع، ويجاهد معه في سبيل الله، أما الفوضى، وكل يحمل السلاح، ويفجر، ويقتل، فهذا ليس في سبيل الله، بل هذا فساد وإفساد في الأرض، وهذه فوضى، والإسلام لم يأذن بهذا، ولا يسمح به؛ لما يلزم عليه من سفك الدماء، وضياع الحقوق، وإتلاف الأموال، فهذا فتنة -والعياذ بالله-، وليس جهادًا، ثم ما هي النتيجة بعد ذلك؟ إنها الفوضى، وانفلات الأمن؛ كما هو مشاهد.



وَأَرْوَاحُ أَهْلِ السَّعَادَةِ بَاقِيَةٌ نَاعِمَةٌ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ^[١]، وَأَرْوَاحُ أَهْلِ
الشَّقَاوَةِ مُعَذَّبَةٌ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ^[٢].

الشرح

[١] هذا عذاب القبر، وعذاب القبر أو نعيمه دلت عليه الأدلة المتواترة؛ فالْمُؤْمِنُ ينعم في قبره، ويفتح له باب إلى الجنة، ويأتيه من روحها ونعيمها، ويفرش له من الجنة، ويوسع له في قبره مد بصره إلى أن يبعثه الله يوم القيامة، ثم يدخل الجنة، والتنعيم ليس للروح فقط، بل يكون للروح وللبدن، وإن تحلل، وصار ترابًا، فإنه يتنعم، أو يعذب، فالعذاب يقع على الروح وعلى البدن في القبر، هذا مذهب أهل السنة والجماعة، ليس على الروح فقط.

(وَأَرْوَاحُ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ مُعَذَّبَةٌ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ)، والشقي -والعياذ بالله- تتصل به روحه في قبره، ويعذب؛ روحه وبدنه، كلاهما يناهما العذاب في القبر، ويتألمان.

فالروح لها تعلق بالبدن حتى في القبر، تأتي وتذهب للميت، وتتصل به وهو في قبره بمشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالروح لها تعلقات بالبدن:

الأول: لها تعلق به، وهو في بطن أمه، إذا نفخت فيه الروح، يحيا، ويتحرك، ويتغذى، وهو في بطن أمه؛ لأن الروح تتصل به.

الثاني: ولها اتصال به بعد ولادته؛ فهي متصلة به إلى أن يتوفى.

الثالث: ولها اتصال به في النوم؛ لأن النوم وفاة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ

الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠].

الرابع: وتتصل به في القبر على ما يشاء الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى.

الخامس: ثم تتصل به بعد البعث، وهذا الاتصال لا ينفصل بعد ذلك، ويكون اتصالاً كاملاً، لا انفصال بعده؛ إما في الجنة، وإما في النار.

فهذه اتصالات الروح بالبدن -والله على كل شيء قدير-؛ كما ذكر الإمام ابن القيم في كتاب «الروح»^(١).



(١) انظر: شرح الطحاوية لابن أبي العز (ص ٤٥١)، والروح لابن القيم (ص ٤٣)، وشرح النونية لابن عيسى (٢/ ١٧٠).

وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ، وَيُسْأَلُونَ، ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]^[١].

الشرح

[١] من أصول أهل السنة والجماعة الإيمان بفتنة القبر، والفتنة: هي السؤال؛ فالميت يُسأل في قبره، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نَعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ؛ أَي: تعاد روحه في جسده.

«وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيَجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولَانِ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ»، زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّجَل: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [إبراهيم: ٢٧] الْآيَةُ - ثُمَّ اتَّفَقَا - قَالَ: «فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَالْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ» قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِبِيبِهَا. قَالَ: وَيُفْتَحُ لَهُ فِيهَا مَدَّ بَصَرِهِ»

وأما المنافق والمرتاب الذي عاش في الدنيا على النفاق وعلى الريب والشك، فيقولان له: «مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ هَاهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ، لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ، لَا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوهُ مِنْ

النَّارِ، وَالْبِسْوَهِ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، قَالَ: وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ».

ويؤمن أهل السنة والجماعة بهذا، وقد تواترت الأحاديث في عذاب القبر^(١)، ولم ينكره إلا المعتزلة والعقلانيون الذين يعتمدون على عقولهم، فهؤلاء ينكرون عذاب القبر -والعياذ بالله-، ولا يعبؤون بالنصوص؛ فلا يؤمنون بعذاب القبر ولا بنعيم القبر، وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا فرغ من دفن الميت، قال للحاضرين: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ، وَسَلُّوا لَهُ التَّثْبِيتَ، فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ»^(٢)، فيقفون على قبره، ويستغفرون له، ويسألون له التثبيت، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، ولهذا قال الله لنبية في شأن المنافقين: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤]، فنهاه أن يقف على قبر المنافق؛ يعني: لا يقف يدعو له بالتثبيت وسؤال المغفرة، وهذا يدل على أن المؤمن يوقف على قبره، ويدعى له.



(١) تواترت الأحاديث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في إثبات عذاب القبر ونيعيمه، وسؤال الملكين للإنسان بعد موته؛ كما جاء في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي أخرجه البخاري (١٣٣٨)، (١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠)، وجاء أيضًا من حديث البراء، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وأبي قتادة، وعائشة، وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٢٢١)، والبيهقي في الكبرى (٩٣/٤)، والحاكم (٥٢٦/١) من حديث عُثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَأَنَّ عَلَى الْعِبَادِ حَفَظَةَ يَكْتُبُونَ أَعْمَالَهُمْ^[١]،

الشرح

[١] ويؤمن أهل السنة والجماعة بالحفظلة الكرام الكاتبين، وهم ملائكة موكلون بحفظ أعمال بني آدم يكتبونها: شرها وخيرها.

والملائكة عالم خلقهم الله من نور، ولهم أجنحة؛ كما قال الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مِّثْنَىٰ وَثَلَاثَ وَرُبْعَ زَيْدٍ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١]، فهم ذوو أجنحة؛ يطفرون، ويصعدون، وينزلون؛ لأن الله أقدرهم على ذلك، ونحن لا نراهم على صورهم، وقد يأتون في صورة آدمية؛ لأننا لا نطبق رؤيتهم على صورهم الملكية، فيأتون على صور رجال؛ لئلا نفزع من رؤيتهم؛ كما كان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ يأتي إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحضرة أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في صورة دحية الكلبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^{(١)(٢)}.

والإيمان بالملائكة أحد أركان الإيمان الستة؛ كما في حديث جبريل

(١) دحية بن خليفة بن فروة الكلبي من كبار الصحابة لم يشهد بدر وشهد أحدًا وما بعدها من المشاهد، وشهد اليرموك، وبقي إلى خلافة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحدث بأحاديث عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. انظر: الاستيعاب (١/ ١٣٧)، وسير أعلام النبلاء (٢/ ٥٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٣٣)، ومسلم (٢٤٥١) «أَنَّ جِبْرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ أُمُّ سَلَمَةَ فَجَعَلَ يَتَحَدَّثُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا أَمُّ سَلَمَةَ: «مَنْ هَذَا؟» أَوْ كَمَا قَالَ قَالَتْ: هَذَا دَحِيَّةٌ. فَلَمَّا قَامَ قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا حَسِبْتُهُ إِلَّا إِيَّاهُ حَتَّى سَمِعْتُ خُطْبَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخْبِرُ خَبَرَ جِبْرِيلَ». وعند مسلم (١٦٧) بلفظ: «وَرَأَيْتُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِذَا أَقْرَبَ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ شَبَهَا دَحِيَّةً».

عَلَيْهِ السَّلَامُ لما سألَه عن الإيمان، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»^(١).

وهم أصناف:

* منهم: من هو موكل بحفظ أعمال بني آدم، قال تعالى: ﴿إِذْ يُلْقَى الْمُتَلَقِينَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ﴾^(١٧) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ فهم يحصون أعمال بني آدم، ويدونونها عليهم - خيرها وشرها -، بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهم الكرام الكاتبون، قال تعالى: ﴿وَلَنْ عَلَيْكُمْ لحَفَظِينَ كِرَامًا كُنِينِينَ﴾^(١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ [الأنفطار: ١٠-١٢]، فهم يكتبون أعمال بني آدم، وهم يتعاقبون علينا بالليل والنهار؛ فهناك ملائكة يلازمون العبد في النهار، ويكتبون ما يصدر منه، وملائكة يكتبون عمل العبد في الليل، وفي الحديث: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَصَلَاةِ الْعَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»^(٢).

ففي صلاة الفجر يصعد الذين باتوا فينا، ويأتي ملائكة النهار، وفي صلاة العصر يصعد الذين كانوا معنا في النهار، ويأتي ملائكة الليل، وهكذا دائماً وأبداً؛ ولهذا صلاة الفجر تطول فيها القراءة، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، فسمى صلاة الفجر

(١) سبق تخريجه (ص ٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٢٣)، ومسلم (٦٣٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قرآنًا؛ لأنها تطول فيها القراءة، وقوله: ﴿مَشْهُودًا﴾؛ أي: محضورًا، تحضره ملائكة الليل وملائكة النهار، وصلاة العصر هي الصلاة الوسطى، وهي أفضل الصلوات، قال تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] ن تحضرها معنا ملائكة الليل وملائكة النهار.

* ومنهم: صنف موكل بحفظ ابن آدم؛ يحفظونه أن يصيبه شيء، أو أن يعتدي عليه أحد، قال تعالى: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]؛ أي: يحفظون العبد بأمر الله، إلى أن يأتي قدر الله المقدر عليه، فيتخلون عنه؛ فينفذ فيه ما أَرَادَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]، ولذلك قد يدخل العبد في مخاطر، وفي أرض هوام وسباع وأرض ثعابين، فلا يصيبه شيء؛ لأن معه ملائكة يحفظونه بأمر الله عَزَّجَلَّ، وهؤلاء يسمون المعقبات.

* ومنهم: ملائكة موكلون بقبض الأرواح، ورئيسهم ملك الموت، قال تعالى: ﴿قُلْ يَنفَخُكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١]، وله أعوان من الملائكة على قبض الروح وسياق الروح من الجسد، ثم إذا اجتمعت، أخذها ملك الموت، فقبضها، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾؛ أي الملائكة، ﴿وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١].

* ومنهم: الملك الموكل بالنفخ في الصور، وهو إسرافيل؛ ينفخ في الصور، يصعق من في السماوات ومن في الأرض، فيموتون، ثم ينفخ فيه مرة

أخره، فيحيون، فهذه نفخة البعث، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

* ومنهم: الملك الموكل بالوحي، وهو جبريل عَلَيْهِ السَّلَام.

* ومنهم: الملك الموكل بالقطر، وهو ميكائيل عَلَيْهِ السَّلَام.

* ومنهم: من ينفذ أوامر الله في السماوات والأرض؛ إذا أمر بالأمر، فإن الملائكة تنزل به إلى حيث شاء الله عَزَّوَجَلَّ، وتنفذه في الكون، فكل فريق منهم له عمل خاص موكل به.



وَلَا يَسْقُطُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَنْ عِلْمِ رَبِّهِمْ^[١]، وَأَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ يَقْبِضُ
الْأَرْوَاحَ بِإِذْنِ رَبِّهِ.

الشرح

[١] أي: ليس معنى كتابة أعمال بني آدم أن الله لا يعلمها، بل الله يعلمها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وإنما كتابتها لحفظها؛ ليقابل بها العبد يوم القيامة، ويقال: (هذا عملك، هذه صحيفتك، اقرأ كتابك)، فالله لا يعذب على أنه يعلم عمل العبد، وإنما يعذب على وقوع الشيء من الإنسان، فإذا وقع، فإن الملائكة تكتبه وتثبته في صحيفة، هذه الصحيفة تدفع إلى العبد يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ (١٣) أَقْرَأُ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿[الإسراء: ١٣-١٤]، تدفع إليه صحيفته، فإن كان من أهل الخير، يأخذها بيمينه، وإن كان من أهل الشر، يأخذها بشماله -والعياذ بالله-، فيلقى عمله، ولا ينكر منه شيئاً، وإلا فالله يعلم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولكنه لا يعذب الناس على مجرد أنه يعلم ما يفعلون، حتى يفعلوا هم هذا الشيء في الواقع والمشاهد، فهو يعذبهم على أعمالهم، أو يكرمهم على أعمالهم.



وَأَنَّ خَيْرَ الْقُرُونِ الْقَرْنُ الَّذِي رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآمَنُوا بِهِ، ثُمَّ
الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ^[١].

الشرح

[١] من أصول أهل السنة والجماعة: أنهم يعتقدون أن خير القرون -أي: خير أجيال الأمة- هم جيل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والصحابة: جمع صحابي، والصحابي: من لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مؤمناً به، ومات على ذلك^(١).

فمن آمن بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يلقه، فليس بصحابي، وإنما هو تابعي، ويشترط أن يستمر على الإيمان حتى يموت، فإن ارتد عن الإسلام، فإنه لا يكون صحابياً، ويسمى مرتدّاً، فلا بد من هذه الأمور الثلاثة: لقي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واجتمع به، سواء طال اجتماعه ولقاؤه أو قصر، ويكون مؤمناً به عند اللقاء، وأن يستمر على الإيمان حتى الوفاة.

والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ خير القرون بشهادة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حيث قال: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»^(٢)، وبعدهم التابعون، وأتباع التابعين، هؤلاء هم خيار الأمة المحمدية، وأفضل من

(١) انظر: في تعريف الصحابي: تدريب الراوي للسيوطي (ص ٢٨٨، ٢٨٩)، وفتح المغيـث للعراقي (ص ٣٤٢)، وفتح المغيـث للسخاوي (٣/ ٧٨، ٧٩)، والإصابة لابن حجر (٥، ٤/ ١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣).

يأتي بعدهم الذين يتبعونهم، قال تعالى: ﴿وَالسَّيْقُوتَ الْأَوَّلُونَ مِنَ
 الْمُهَجِّرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٠]،
 ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ
 سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾
 [الحشر: ١٠].



وَأَفْضَلُ الصَّحَابَةِ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ: أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ
ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ [١].

الشرح

[١] الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يتفاضلون؛ مع فضلهم العام الذي انفردوا به عن الأمة، واختصوا به عن الأمة، ولكنهم يتفاضلون فيما بينهم، فأفضلهم الخلفاء الراشدون، وهم: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي - رضي الله عنهم أجمعين -، وهم يتفاضلون بينهم، وترتيبهم في الفضل مثل ترتيبهم في الخلافة، ثم بقية العشرة المشهود لهم بالجنة، وهم: طلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن الخطاب - ابن عم عمر بن الخطاب -، وأبو عبيدة بن الجراح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فهؤلاء العشرة المبشرون بالجنة، ثم أصحاب بدر، ثم أصحاب بيعة الرضوان، والمهاجرون أفضل من الأنصار، ثم الذين أسلموا قبل الفتح، ثم الذين أسلموا بعد الفتح، كل هؤلاء صحابة، ولكن يتفاضلون فيما بينهم - رضي الله عنهم وأرضاهم!



وَأَلَّا يُذَكَّرَ أَحَدٌ مِنْ صَحَابَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا بِأَحْسَنِ ذِكْرٍ^[١].
وَالْإِمْسَاكُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ^[٢]، وَأَنَّهُمْ أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ يُلْتَمَسَ لَهُمْ أَحْسَنُ
الْمَخَارِجِ، وَيُظَنَّ بِهِمْ أَحْسَنُ الْمَذَاهِبِ^[٣].

الشرح

[١] من أصول أهل السنة والجماعة: الثناء على صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن لا يذكر أحد منهم إلا بأحسن الذكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لأن الله مدحهم، وأثنى عليهم، ورضي عنهم؛ ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ»^(١).

[٢] الفتن تقع عليهم وعلى غيرهم، وقد وقعت على الصحابة، وتقع على من جاء بعدهم، ولكن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أعطاهم الله من الفضل ما لم تؤثر فيهم بسببه الفتنة التي حصلت.

والفتنة إذا جاءت، فمن الناس من يمسك عنها، ولا يدخل فيها، وإما أن يدخل فيها باجتهاد منه؛ لإطفاؤها، فلا يبحث فيما حدث بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بسبب الفتنة، إلا على وجه الاعتذار عنهم.

[٣] الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ غير معصومين بالنسبة لأفرادهم، أما جملة الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فهم معصومون، وإجماعهم حجة، ولكن أفرادهم قد يقع

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١).

منهم أخطاء، تكفر عنهم لعدة أسباب، منها: أنهم يتوبون إلى الله، وتكفر عنهم سيئاتهم بفضل صحبتهم، وبفضل أعمالهم الجليلة، وشيخ الإسلام ابن تيمية في «العقيدة الواسطية» له كلام جميل في هذا يقول: (إِنَّ هَذِهِ الْأَثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ). وهذا كثير، والتاريخ يقع فيه كذب كثير، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ: (إِنَّ هَذِهِ الْأَثَارَ الْمَرْوِيَّةَ فِي مَسَاوِيهِمْ مِنْهَا مَا هُوَ كَذِبٌ وَمِنْهَا مَا قَدْ زِيدَ فِيهِ وَنُقِصَ وَغَيَّرَ عَنْ وَجْهِهِ وَالصَّحِيحِ مِنْهُ: هُمْ فِيهِ مَعْدُورُونَ إِمَّا مَجْتَهِدُونَ مُصِيبُونَ وَإِمَّا مَجْتَهِدُونَ مُخْطِئُونَ وَهُمْ مَعَ ذَلِكَ لَا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعْصُومٌ عَنْ كِبَائِرِ الْإِثْمِ وَصَغَائِرِهِ؛ بَلْ تَجُوزُ عَلَيْهِمُ الذُّنُوبُ فِي الْجُمْلَةِ وَهُمْ مِنَ السَّوَابِقِ وَالْفَضَائِلِ مَا يُوجِبُ مَغْفِرَةً مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ إِنْ صَدَرَ حَتَّى إِنَّهُ يُغْفَرُ لَهُمْ مِنَ السَّيِّئَاتِ مَا لَا يُغْفَرُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ لِأَنَّ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ الَّتِي تَمْحُو السَّيِّئَاتِ مَا لَيْسَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ)^(١).

وفي الحديث: «وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ ااعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»^(٢)، فيغفر لهم بسابقتهم وبفضائلهم وأعمالهم الجليلة.

فقول المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَأَمَّتْهُمْ أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ يُلْتَمَسَ لَهُمْ أَحْسَنُ الْمَخَارِجِ، وَيُظَنَّ بِهِمْ أَحْسَنُ الْمَذَاهِبِ)، فلا يجوز للإنسان أن يشتغل بما حصل بين الصحابة، بل يغلق هذا الباب نهائياً؛ احتراماً لهم، ولأنهم لهم من

(١) انظر: العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤) من حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الفضائل والأعمال الجليلة ما يكفر الله به ما يحصل من بعضهم، إن ثبت هذا، مع أن أكثره مكذوب، قال الله تعالى فيهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: (وَمِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَالسِّتَةِمْ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(١)).

وفي هذه الأمة ثلاثة أمور: الدعاء لهم، والثناء عليهم، وطهارة القلوب من بغضهم والألسنة من سبهم، عكس الذين يلعنونهم ويسبونهم، ويلتمسون العيوب لهم، مخالفين بذلك أمر الله وأمر رسوله.



(١) انظر: العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٢).

وَالطَّاعَةُ لِأَمَّةِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ وُلَاةِ أُمُورِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ^[١]،

الشرح

[١] هذه المسألة من أصول أهل السنة والجماعة، التي في كتب العقائد التي ألفها العلماء في بيان أصول عقيدة أهل السنة والجماعة، وهي السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين؛ لما يترتب على ذلك من المصالح، ويندفع به من المفاسد، فلا بد للمسلمين من الاجتماع على تقوى الله، والعمل بشرعه، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

فلا بد من اجتماع المسلمين وعدم تفرقتهم، ولا يجتمعون إلا بقيادة منهم، فلا اجتماع إلا بإمامة، ولا إمامة إلا بسمع وطاعة؛ ولهذا قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، فذكر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن الطاعة تكون لثلاثة: أولاً: تكون لله عَزَّوَجَلَّ.

ثانياً: تكون للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثالثاً: تكون لأولي الأمر، وأولو الأمر: هم أمراء المسلمين، وعلماء المسلمين.

والمصلحة تعود على الجميع؛ بحيث ينتظم شأنهم، وتقوى جماعتهم، ويهاجم عدوهم، وهذا ما أمر الله به، وأمر به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛

ولما وعظ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه موعظة بليغة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودَّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قال: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(١). هذه وصية الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمته، وهي ما أوصى الله بها في كتابه في قوله: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وفي قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، والرد إلى الله والرسول: هو الرد إلى الكتاب والسنة على أيدي العلماء؛ لأن العلماء هم أولو الأمر في العلم، والأمراء أولو الأمر في السلطة، ولا بد للمسلمين من علم وسلطة؛ فمسائل العلم للعلماء، ومسائل السياسة لأمراء المسلمين، ولا يستقيم أمر المسلمين إلا بهذا؛ في كل زمان ومكان، ولا يستقيم هذا مع إعلان سبهم وتنقصهم والتماس العيوب لهم، وإعلان ذلك للناس؛ لأن هذا يسبب الخروج عليهم، وشق عصا الطاعة، وتفريق الجماعة، ومن حصل منه خطأ، فإنه يناصر سرًا بين الناصح والمنصوح.



(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢، ٤٣، ٤٤)، وأحمد (١٢٦/٤)، والدارمي (٩٥)، والطبراني في الكبير (٦٢٣)، وابن حبان (١٧٨/١)، والحاكم في المستدرک (١٧٤ - ١٧٧)، والبيهقي في الكبرى (١٠ / ١١٤) من حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَاتَّبَاعُ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَاقْتِفَاءُ آثَارِهِمْ، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمْ^[١].

الشرح

[١] وكذلك من أصول أهل السنة والجماعة اتباع السلف الصالح، والسلف الصالح: هم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، والتابعون، وأتباع التابعين، ومن سار على نهجهم إلى يوم القيامة؛ كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ إِلَى اللَّهِ الْمُقَدَّمُونَ وَالْأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَفَتَرَقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»، وفي رواية: «كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ»، وفي رواية أخرى: «مَنْ كَانَ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»^(١)، فهؤلاء هم الفرقة الناجية، وهذا الانتساب إلى السلف

(١) هذا حديث الافتراق المشهور، وهو حديث حسن، وله طرق، وورد عن عدد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ منهم:

معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أبي داود في السنن (٤٥٩٧)، والطبراني في الكبير (٣٧٧/١٩).

وعوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند ابن ماجه (٣٩٩٢)، والطبراني في الكبير (٧٠/١٨).

وأبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند الترمذي (٢٦٤٠)، وقال حسن صحيح، وعبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما عند الترمذي (٢٦٤١).

وأنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند ابن ماجه (٣٩٩٣)، وأحمد في المسند (١٤٥/٣)، وأبي يعلى في مسنده (١٥٥/٧). وانظر: تمام تخريجه في السلسلة الصحيحة (ح ٢٠٤). وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد» مجموع الفتاوى (٣/٣٤٥).

الصالح ومذهبهم لا بد أن يكون عن معرفة لما عليه السلف الصالح، لا بد أن يكون بمعرفة منهجهم ودراسة ما هم عليه، أما مجرد أن يدعي الإنسان أنه على منهج السلف الصالح، وهو لا يعرف ما هم عليه، فهذا لا يكفي، هو يؤجر على نيته وعلى قصده، ولكن هذا لا يكفي، بل يجب معرفة ما عليه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ ولهذا الله جَلَّ وَعَلَا قيد، فقال: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾؛ يعني: بإتقان، وذلك بمعرفة منهجهم وما هم عليه؛ حتى يكون الانتساب إليهم انتساباً صحيحاً، فلا يكفي مجرد الانتساب من غير معرفة بمنهجهم.

ولهذا فإن العلماء ذكروا ذلك في كتب العقائد، فهو من أصول العقائد في هذه العقيدة، وكذا عقيدة الطحاوي، والعقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، فالعلماء يذكرون هذا في عقائدهم؛ لأهميته، فهذه مسألة عظيمة، ومنهج مستقيم، لا تصلح الأمة إلا به، وكما قال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَنْ يَصْلَحَ آخِرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا بِمَا صَلَحَ بِهِ أَوَّلُهَا»^(١)، فالذين يأتون في آخر الأمة، ويحبون السلف، ويحبون الاقتداء بهم هذا شيء طيب، ولكن لا بد أن يدرسوا عقيدتهم ومنهجهم وما هم عليه؛ حتى يعرفوه على بصيرة، ويتمسكوا به؛ لأن هناك من يدس على المسلمين أشياء، ويقول: (هذه من منهج السلف، وهذا

(١) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (١٠/٢٣) من كلام الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ، انظر: تنقيح تحقيق أحاديث التعليق لابن عبد الهادي (٤٢٣/٢). وأخرج الخطيب البغدادي نحوه من كلام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خطبة له، في موضح أوهام الجمع والتفريق (٢٦٣/١)، قال: (إن هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله)، وعند ابن عساكر من كلام أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، في تاريخ دمشق (٢٥٦/٤٤)، قال: (إن هذا الأمر الذي هو أملك بنا لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله).

عمل السلف)؛ ليلضلهم، ولكن منهج السلف واضح ومدون - والله الحمد -، ومدروس، فليرجع إليه، ويتبع، وينفذ؛ حتى تصلح الأمة، ويستقيم أمرها.

ومن حق السلف الصالح علينا من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين ومن جاء بعدهم أن نستغفر لهم؛ لأن الله لما ذكر المهاجرين والأنصار في سورة «الحشر»، قال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يُنَافُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]، ثم قال في الأنصار: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر: ٩]؛ يعني: المدينة دار الهجرة، وهم الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَ نَفْسِهِ فَاُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]، ثم قال في الذين جاءوا من بعدهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾؛ أي: من بعد المهاجرين والأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾، ولم يكتف بأهم يقولون: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا﴾، بل قال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾؛ يعني: بغضا وكرهية، ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في «العقيدة الواسطية»: (وَمِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ: سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَالسِّتَةِ لَهُمْ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)^(١)، سلامة قلوبهم من البغض والكرهية؛ لأن الذي يبغض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ويكرههم

(١) انظر: العقيدة الواسطية ضمن مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٢).

هذا منافق وليس بمؤمن، وكذا سلامة ألسنتهم؛ فلا يتكلمون في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ولا يتنقصونهم، ولا يلتمسون لهم العيوب، وإنما يستغفرون لهم، ويترضون عنهم، ويحبونهم، ويقتدون بهم.

هذا منهج أهل السنة والجماعة مع أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو الاقتداء بهم، والسير على منهجهم، وسلامة القلوب من بغضهم، وسلامة الألسنة من سبهم والقدح فيهم أو في أحد منهم، هذا هو منهج الكتاب والسنة، ومنهج أهل السنة والجماعة، ولا يستقيم أمر الأمة إلا بهذا، أما إذا تنكر المتأخرون لمن سبقهم، وأنكروا فضلهم وسابقتهم، ورموهم بالجهل والغباوة وغير ذلك، فهذا ضلال وضياع، وعدم التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الله جَلَّ وَعَلَا قال: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

﴿جَمِيعًا﴾: من أول الأمة إلى آخرها يتمسكون بحبل الله، وهو الكتاب والسنة، ولا يفرقون في ذلك، وإن اختلفوا في المسائل الاجتهادية، فإنهم يرجعون إلى الكتاب والسنة؛ ﴿فَإِنْ نَنزَعُكُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، فالاختلاف في المسائل الاجتهادية الفقهية لابد أن يحصل، لكن الذي يضبط المنهج الصحيح هو أن تعرض الأقوال على الكتاب والسنة، فما وافق الكتاب والسنة، فهو صواب، وما خالفهما، فهو خطأ، فيؤخذ بالصواب، ويترك الخطأ، ولانتعصب لقول أحد دون أحد، وإنما علينا أن نزن أقوال المختلفين من قبلنا أو المعاصرين لنا على كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فما وافق الكتاب والسنة، فهو صواب، وما خالفهما، فهو خطأ،

وإن كان صاحبه ما قصد الخطأ، لكن طريقته خطأ، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»^(١)؛ أجر على اجتهداه، والخطأ مغفور - والله الحمد-، وإنما التعصب للقول أو للشخص أو للمذهب من غير دليل هذا هو المذموم، بل هذه عصبية جاهلية، ولا تجوز، فالواجب أن المؤمن يزن أقواله وأفعاله وتصرفاته بالكتاب والسنة، إذا كان يحسن هو الرجوع إلى الكتاب والسنة، فالحمد لله، وإلا فليسأل أهل العلم؛ ليبينوا له الخطأ من الصواب، هذا هو المنهج السليم لهذه الأمة، ولا تصلح هذه الأمة إلا بذلك.



(١) أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٥) (١٧١٦) من حديث عمرو بن العاص

وَتَرَكُ الْمِرَاءَ وَالْجِدَالَ فِي الدِّينِ ^[١] وَتَرَكُ كُلَّ مَا أَحَدَثَهُ الْمُحَدِّثُونَ ^[٢].

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ، وَعَلَى آلِهِ، وَأَزْوَاجِهِ، وَذُرِّيَّتِهِ، وَسَلَّمْ
تَسْلِيمًا كَثِيرًا ^[٣].

الشرح

[١] من أصول أهل السنة والجماعة ترك المراء والجدل، فالهدف هو الحصول على الحق، وأما أننا نتجادل، ونشغل أوقاتنا، ونستهلك طاقاتنا في الجدل العقيم، والانتصار لقول فلان وعلان، فهذا يضر، ولا ينفع، والدين ليس فيه مراء ولا جدل، ولا يحسم هذا إلا الكتاب والسنة، ولا يستفيد من الكتاب والسنة إلا أهل العلم؛ فيسألون عن ذلك، فيرجع إلى أهل العلم.

[٢] كل ما أحدثه المحدثون بعد السلف الصالح من الأقوال والأفعال والعقائد، فإذا كان ذلك مخالفاً للكتاب والسنة وما عليه سلف هذه الأمة، فلا بد من تركه، وليس في هذا غضاضة على من أخطأ أن يرجع إلى الصواب، بل هذا فضيلة له؛ فالرجوع إلى الحق فضيلة.

[٣] ختم هذه الرسالة القيمة بخير ختام؛ بالصلاة والسلام على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لوجوب الصلاة والسلام على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وهذا من حقه علينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن نصلي ونسلم عليه عند ذكره، وعندما نكتب كتاباً، فإننا نختمه بالصلاة

والسلام على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي التشهد الأخير من الصلاة نصلي ونسلم عليه، وهذا من أركان الصلاة، ولا يكفي أنك تكثر الصلاة والسلام على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا تتبعه، بل لابد من اتباعه؛ لأن بعضهم يقول: (أريد الأجر، فأصلي وأسلم عليه، وهذا يكفي، والناس أحرار في عقائدهم! والناس أحرار في آرائهم! وحرية الكلمة!.. إلى آخره).

لا، يا أخي، أنت عبد لله عَزَّوَجَلَّ، فتمثل أمر ربك، أنت لست حرًا بمعنى أنك تفعل ما تشاء، أنت حر بمعنى أنك لا تأخذ المناهج والأقوال على علاقتها، أنت حر أن تميز بينها، وتأخذ الصحيح، وتترك الخطأ، هذه الحرية الصحيحة، الحرية الصحيحة باتباع الكتاب والسنة؛ لأنها يحرران منهج السلف من الأفكار الخبيثة والأفكار الضائعة، وأعظم ذلك التحرر من الشرك، ومن البدع والمخالفات، فهذه الحرية الصحيحة، وليست الحرية أنك تنطلق على حسب هواك، وتركز نفسك؛ هذه ليست بحرية، هذه بهيمية، وهي عين الاستعباد، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣]، هذه عبد لهواه، فاتخذ معبوده هواه؛ فما يسوغ هواه، يأخذ به، ما يخالف هواه، يرفضه كاليهود، قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧]، لم ذلك؟ لأنهم يردونهم إلى الحق، وهم يريدون الانطلاق إلى أهوائهم.

فالحرية الصحيحة هي اتباع الكتاب والسنة؛ لأنها يحرران العقول، ويحرران العبيد من الأهواء، ومن الشهوات، ومن الأفكار، ومن الآراء

الضالة والشاذة، بل يحرران الناس من عبادة الأشجار والأحجار، والشيطان والطواغيت.

وهذه هي الحرية الصحيحة، تكون باتباع الكتاب والسنة، وأما مخالفة الكتاب والسنة، فهذه عبودية، وليست حرية، فيكونون عبيد أهوائهم، وعبيد أفكارهم ورغباتهم، وعبيد من قلدوهم على ضلال.

وبعد أن صلى وسلم على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلى وسلم على آله، وهم: المؤمنون من قرابته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذين تحرم عليهم الزكاة، وهم آل العباس، وآل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، فهؤلاء هم قرابة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم آله، وكذلك من آله: أتباعه على دينه، فكل من اتبع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وآمن به، فإنه من آله، ولكنه ليس من قرابته، فالآل على قسمين: القرابة، والأتباع الذين على دينه، والقرابة جمعت بين فضيلتين: فضيلة القرابة، وفضيلة الإيثار، أما غير القرابة، فأخذ فضيلة الاتباع والإيثار فقط؛ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ داخلون في الآل بمعنى الأتباع، ولكنه ذكرهم على انفراد؛ لأجل الاهتمام بحقهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لكونهم صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذين آمنوا به، وآزره، ونصروه، وجاهدوا معه، فهم لهم الفضل على هذه الأمة، ففضل الصحبة فضل لا يدرکه غيرهم، مهما عظم الإيثار والتقوى ممن جاء بعدهم، فلن يصل إلى درجتهم؛ لأن معهم درجة الصحبة للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهم أفضل هذه الأمة؛ لصحبتهم لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يشاركهم غيرهم في ذلك.

وزوجاته أمهات المؤمنين من آل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن أهل بيته، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَخَاطَبًا زَوْجَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿يَنْسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنَّ أَتَقِيْنَ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۝٣٣﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۝﴾ [الأحزاب: ٣٢-٣٣].

وهذه الأوامر تشترك فيها النساء المؤمنات؛ فالقرار في البيوت لنساء المؤمنين، والحجاب لنساء المؤمنين، وإن كان أصل الخطاب لنساء الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهن القدوة، فإذا كانت نساء الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مأمورات بالحجاب ومأمورات بتجنب التبرج والتزين عند الخروج والتطيب، ومأمورات بالقرار في البيوت، ومأمورات بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ومأمورات بطاعة الله ورسوله، فكذلك نساء الأمة؛ لأن نساء الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هن القدوة لنساء المؤمنين، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾، الرِّجْسُ: هي نجاسة المعاصي والذنوب.

﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، فدل على أن نساء الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أهل بيت الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وليس بيت الرسول خاصًا بقرابة الرسول؛ بل أزواجه من أهل بيته؛ لأن الخطاب موجه لهن.

وذرية الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بناته من خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وأولاد فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ لأن أولاد فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أولاد للرسول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأنه جدهم،

فأولاد فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأولاد أولادهم، ونسلهم كلهم من أولاد الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لهم القدر والمكانة، إذا هم اتبعوه، وآمنوا به، ولا يكفي أنهم من قرابة الرسول؛ فأبو لهب هو عم الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن لما كان كافراً، لم ينفعه ذلك، لم تنفع القرابة؛ فالقرابة وحدها لا تكفي، بل لابد من القرابة مع الإيمان بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالذي يقول: (أنا من قرابة الرسول)، ولا يتبعه، ليس من آله، وإن كان من قرابته، فليست كل قرابة الرسول من آله.

هذا آخر التعليق على هذه العقيدة التي تضمنتها مقدمة الإمام الشيخ ابن أبي زيد، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وأصحابه، والتابعين، وبهذا تم الشرح.



فهرس المراجع

- ❖ الإبانة الكبرى لابن بطة، الناشر: دار الراجة للنشر والتوزيع، الرياض.
- ❖ إثبات صفة العلو، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، المحقق: أحمد بن عطية بن علي الغامدي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م، عدد الأجزاء: ١
- ❖ اجتماع الجيوش الإسلامية، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: عواد عبد الله المعتق، الناشر: مطابع الفرزدق التجارية - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، عدد الأجزاء: ٢ (الجزء الأول دراسة من المحقق).
- ❖ الأحاد والمثاني لابن أبي عاصم، المحقق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، الناشر: دار الراجة - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١١ - ١٩٩١.
- ❖ إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، المؤلف: محمد بن علي ابن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، المحقق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطنا، قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، الناشر: دار الكتاب العربي، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٢.

❁ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله ابن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجليل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، عدد الأجزاء: ٤

❁ الأسماء والصفات للبيهقي، مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، عدد الأجزاء: ٢.

❁ الإصابة في تمييز الصحابة، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ٨

❁ أصول السرخسي، المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت، عدد الأجزاء: ٢.

❁ الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ.

❁ الأمثال، المؤلف: أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، المحقق: الدكتور عبد المجيد قطامش، الناشر: دار المأمون للتراث، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، عدد الأجزاء: ١.

❁ أمراض القلب وشفائها، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية

الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: المطبعة السلفية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٩٩هـ، عدد الأجزاء: ١.

❁ الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي الحنبلي، أبو اليمن، مجير الدين (المتوفى: ٩٢٨هـ)، المحقق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، الناشر: مكتبة دنديس - عمان، عدد الأجزاء: ٢

❁ البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

❁ البدء والتاريخ، المطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد.

❁ البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ - ١٩٨٨ م.

❁ بدائع الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، عدد الأجزاء: ٤

❁ بغية الطلب في تاريخ حلب، المؤلف: عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي، كمال الدين ابن العديم (المتوفى: ٦٦٠هـ)، المحقق: د. سهيل زكار، الناشر: دار الفكر، عدد الأجزاء: ١٢

❁ البيان والتبيين، المؤلف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: ١٤٢٣ هـ، عدد الأجزاء: ٣.

❁ تاج العروس من جواهر القاموس، محب الدين أبو الفيض محمد بن مرتضي الزبيدي، دار الفكر، طبعة ١٤١٤ هـ.

❁ تاريخ الإسلام، شمس الدين الذهبي، تحقيق عمر تدمري، طبعة ١٤٠٩ هـ.

❁ تاريخ الطبري، لأبي جعفر بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت.

❁ التاريخ الكبير، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، عدد الأجزاء: ٨.

❁ تاريخ بغداد، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م، عدد الأجزاء: ١٦.

❁ تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي، تحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر - بيروت، ١٩٩٥ م.

❁ التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن

عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ، عدد الأجزاء: ٣٠ (والجزء رقم ٨ في قسمين).

❁ تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الناشر: دار طيبة، عدد الأجزاء: ٢

❁ تدريب الراوي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

❁ التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

❁ التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، عدد الأجزاء: ١

❁ التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

❁ تغليق التعليق على صحيح البخاري، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: سعيد عبد الرحمن موسى القرقي، الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان - الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥، عدد الأجزاء: ٥

- ❁ تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا.
- ❁ تفسير ابن كثير، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤٠١هـ.
- ❁ تفسير البغوي، معالم التنزيل، تحقيق: محمد النمر، وعثمان صميرية، وسليمان الحرش. دار طيبة، الرياض الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ.
- ❁ تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد ابن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٢٦ مجلد ٢٤ مجلد ومجلدان فهارس.
- ❁ تفسير القرطبي، طبعة دار الشعب، القاهرة، وطبعة دار الكتاب العربي، بيروت.
- ❁ تفسير عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- ❁ التمثيل والمحاضرة، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، المحقق: عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: الدار العربية للكتاب، الطبعة: الثانية، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م، عدد الأجزاء: ١.
- ❁ التمهيد، يوسف بن عبد الله بن عبد البر، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف، المغرب، طبعة ١٣٨٧هـ.

- ❁ تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق، المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد ابن عبد الهادي الحنبلي (المتوفى: ٧٤٤ هـ)، تحقيق: سامي بن محمد بن جاد الله وعبد العزيز بن ناصر الحنبلي، دار النشر: أضواء السلف - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، عدد الأجزاء: ٥
- ❁ تهذيب التهذيب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢ هـ)، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦ هـ، عدد الأجزاء: ١٢.
- ❁ تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار القومية العربية، مصر.
- ❁ جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥ هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، عدد الأجزاء: ٢ (في مجلد واحد).
- ❁ جمهرة الأمثال، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥ هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت، عدد الأجزاء: ٢.
- ❁ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠ هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.

❁ الحيوان، المؤلف: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٢٤ هـ، عدد الأجزاء: ٧.

❁ الدر الفريد وبيت القصيد، المؤلف: محمد بن أيذر المستعصمي (٦٣٩هـ - ٧١٠هـ)، المحقق: الدكتور كامل سلمان الجبوري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م، عدد الأجزاء: ١٣ (آخر جزئين فهارس).

❁ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق، عدد الأجزاء: ١١.

❁ الدر المنثور، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت، عدد الأجزاء: ٨.

❁ درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة، تحقيق محمد رشاد سالم، دار الكنوز الذهبية، الرياض، طبعة ١٣٩١هـ.

❁ الدرر السنية في الأجوبة النجدية، المؤلف: علماء نجد الأعلام، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة: السادسة، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ١٦.

❁ الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين

ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت،
عدد الأجزاء: ١

❁ زاد المسير، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي الحنبلي، المكتب الإسلامي،
بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ.

❁ زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، تحقيق شعيب الأرنؤوط
وعبدالقادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، الطبعة
الرابعة عشر ١٤٠٧هـ.

❁ سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف:
أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم،
الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر
والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)، عدد الأجزاء: ٦،
عام النشر: ج ١ - ٤: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، ج ٦: ١٤١٦ هـ -
١٩٩٦ م، ج ٧: ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

❁ السنة لابن أبي عاصم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب
الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ.

❁ سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.

❁ سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.

❁ سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي،
تحقيق: محمد عبد القادر عطا. مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤ هـ.

❁ سنن الترمذي، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث، بيروت.

- ❁ سنن الدارقطني، تحقيق السيد عبد الله هاشم المدني، دار المعرفة، بيروت.
- ❁ سنن الدارمي، تحقيق فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
- ❁ السنن الصغرى للبيهقي، تحقيق: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- ❁ السنن الصغرى للنسائي (المجتبى)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات، حلب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
- ❁ السنن الكبرى للنسائي، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- ❁ سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ.
- ❁ شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- ❁ شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، تحقيق أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، طبعة ١٤٠٢هـ.
- ❁ شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة ١٣٩١هـ.
- ❁ شرح القصيدة النونية، أحمد بن إبراهيم بن عيسى، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ.

- ❁ الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين الأجرى، مطابع الأشراف، لاهور.
- ❁ شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- ❁ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، عدد الأجزاء: ١.
- ❁ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم، تحقيق محمد بدر الدين الحلبي، دار الفكر، بيروت، طبعة ١٣٩٨هـ.
- ❁ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ٦.
- ❁ صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.
- ❁ صحيح البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
- ❁ صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، بيروت.
- ❁ طبقات الشافعية الكبرى، المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح

محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ، عدد الأجزاء: ١٠.

❁ العرش وما رُوي فيه، المؤلف: أبو جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة العبسي (المتوفى: ٢٩٧هـ)، المحقق: محمد بن خليفة بن علي التميمي، الناشر: مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: ١.

❁ العظمة، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني (المتوفى: ٣٦٩هـ)، المحقق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الناشر: دار العاصمة - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ، عدد الأجزاء: ٥.

❁ العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايّاز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، الناشر: مكتبة أضواء السلف - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، عدد الأجزاء: ١.

❁ عيون الأخبار، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، تاريخ النشر: ١٤١٨هـ، عدد الأجزاء: ٤.

❁ غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)،

الناشر: مؤسسة قرطبة - مصر، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م،
عدد الأجزاء: ٢

❁ الفتاوى الكبرى لابن تيمية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحرائي الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م، عدد الأجزاء: ٦.

❁ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

❁ فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ

❁ فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، للحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي.

❁ فتح المغيث شرح ألفية الحديث، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، دار أحد.

❁ الفردوس بمأثور الخطاب، المؤلف: شيرويه بن شهردار بن شيرويه ابن فناخسرو، أبو شجاع الديلمي الهمداني (المتوفى: ٥٠٩هـ)، المحقق: السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، عدد الأجزاء: ٥.

❁ الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٧ م.

❁ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق، عام النشر: ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، عدد الأجزاء: ١.

❁ الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، المؤلف: عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، الناشر: مكتبة ابن تيمية، الكويت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

❁ فوات الوفيات والذيل عليها، لمحمد بن شاكر الكتبي، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

❁ كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عزَّ وجلَّ، المؤلف: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهبان

❁ كتاب القدر، المؤلف: أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المُستَفَاض الفريابي (المتوفى: ٣٠١هـ)، المحقق: عبد الله بن حمد المنصور

❁ لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ، عدد الأجزاء: ١٥

❁ المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة،

الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦.

❁ مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية.

❁ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ، عدد الأجزاء: ٢.

❁ مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

❁ مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، طبعة ١٤١٥هـ.

❁ مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، الطبعة: طبعة جديدة، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

❁ المدخل إلى السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي - الكويت، عدد الأجزاء: ١.

- ❁ المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
- ❁ المستطرف في كل فن مستطرف، المؤلف: شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ، عدد الأجزاء: ١.
- ❁ مسند أبي داود الطيالسي، لسليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، دار المعرفة، بيروت.
- ❁ مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.
- ❁ مسند أحمد بن حنبل - النسخة المحققة بإشراف شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ.
- ❁ مسند البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، المدينة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
- ❁ مسند عبد بن حميد، تحقيق صبحي البدرى ومحمود محمد خليل، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
- ❁ مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكنانى الشافعي (المتوفى: ٨٤٠هـ)، المحقق: محمد المنتقى الكشناوي، الناشر: دار العربية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ، عدد الأجزاء: ٤.
- ❁ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة

العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ٢ (في مجلد واحد وترقيم مسلسل واحد).

❁ مصنف ابن أبي شيبة، تحقيق كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

❁ مصنف عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

❁ المعجم الأوسط، أبو القاسم الطبراني، تحقيق طارق بن عوض الله وعبد المحسن ابن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، طبعة ١٤١٥هـ.

❁ المعجم الصغير، أبو القاسم الطبراني، تحقيق محمد شكور، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

❁ المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.

❁ معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»، المؤلف: عادل نويهض، قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيخ حسن خالد، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م، عدد الأجزاء: ٢ (في ترقيم مسلسل واحد).

❁ المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

❁ معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس، دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة ١٤٢٢هـ.

❁ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن علي الأشعري، تحقيق هلموت ريتز، دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا).

❁ الملل والنحل، للشهرستاني، الناشر: مؤسسة الحلبي.

❁ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، عدد الأجزاء: ١٩.

❁ موضح أوهام الجمع والتفريق، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت ابن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: د. عبد المعطي أمين قلعجي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧، عدد الأجزاء: ٢.

❁ موطأ الإمام مالك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث، مصر.

❁ موقف ابن تيمية من الأشاعرة، تأليف: عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

❁ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين الذهبي، تحقيق علي عوض، وعادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

❁ الناشر: أضواء السلف، الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، عدد الأجزاء: ١

❁ الناشر: مكتبة الرشد - السعودية - الرياض، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ٢

❁ النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، الناشر المكتبة العلمية، سنة النشر ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، بيروت، عدد الأجزاء ٥.

❁ هذه مفاهيمنا، صالح بن عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، الناشر: إدارة المساجد والمشاريع الخيرية الرياض، الطبعة: الثانية ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

❁ الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، طبعة ١٤٢٠ هـ.

❁ وفيات الأعيان وأنباء أبناء زمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، لبنان.



فهرس الموضوعات

٥	مقدمة الناشر
٧	مقدمة الشارح
١٣	نصُّ مُقَدِّمَةِ الرِّسَالَةِ
٢٠	الآيات تنقسم إلى قسمين
٢٠	الهداية على قسمين
٢٦	نتيجة هداية التوفيق
٢٧	من صفات أهل السنة والجماعة
٢٨	بنو الإنسان أمام الأمانة على ثلاثة أقسام
٢٩	بيان سبب تأليف هذه الرسالة ومقدمتها
٣٠	العقيدة ثلاثة أركان: قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح
٣٢	تعريف السنة في اصطلاح المحدثين
٣٣	المراد بأصول الفقه
٣٧	أرجى القلوب للخير ما كان خالياً من الشر
	الديانة الصحيحة هي ما كانت على الكتاب والسنة وما عليه سلف
٣٩	هذه الأمة
٣٩	علم المنطق وعلم الكلام والجدل يُظلم القلوب
٤٤	ثلاث مسائل مهمة
٤٧	بَابُ مَا تَنْطِقُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ وَتَعْتَقِدُهُ الْأَفْئِدَةُ مِنْ وَاجِبِ أُمُورِ الدِّيَانَاتِ

الأسماء والصفات معلومة المعنى، ولكن كيفيتها لا يعلمها إلا

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى..... ٥٢

لا يحيط بشأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى المتفكرون..... ٥٤

علم الله واسع، ونحن لا نعلم من علم الله إلا ما علمنا..... ٥٦

الكرسي والعرش..... ٥٧

أنواع العلو الثلاثة كلها ثابتة لله عَزَّجَلَّ..... ٦٠

العرش هو سقف المخلوقات وأعلاها..... ٦١

الاستواء صفة فعلية، وأما العلو، فهو صفة ذاتية..... ٦١

مراتب الإيمان بالقضاء والقدر أربع..... ٦٤

الله جَلَّ وَعَلَا لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتُ الْعُلَى..... ٦٦

من صفات الله جَلَّ وَعَلَا الفعلية «الكلام»..... ٦٩

القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود..... ٧٢

الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان..... ٧٥

مقادير الأمور بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى..... ٧٨

كُلُّ مُيسَّرٍ بِتَيْسِيرِهِ إِلَى مَا سَبَقَ مِنْ عِلْمِهِ وَقَدَرِهِ مِنْ شَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ..... ٨١

لا أحد يستغني عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى..... ٨٣

من أصول العقيدة اعتقاد أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتم النبيين،

وأن من ادعى النبوة بعده، فهو كافر وكذاب..... ٨٦

من أصول الإيمان: الإيمان باليوم الآخر..... ٩٠

علامات الساعة على ثلاثة أقسام..... ٩١

كل من مات، فقد قامت قيامته، وحصلت ساعته..... ٩٤

- الرد على منكري البعث..... ٩٥
- الذنوب تنقسم إلى كبائر وصغائر..... ٩٨
- تعريف الكبيرة..... ٩٩
- حكم عصاة الموحدين..... ١٠٠
- عصاة المؤمنين يخرجون من النار إما بفضل الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، وإما
بشفاعة الشافعين..... ١٠٢
- الشفاعة لها شرطان..... ١٠٣
- من أمور الآخرة: الجنة والنار..... ١٠٤
- أعظم ما يكرم الله به أهل الجنة النظر إلى وجهه الكريم..... ١٠٥
- اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْمَلَكُ صَفًا صَفًا؛ لِعَرْضِ الْأُمَمِ
وَحِسَابِهَا وَعُقُوبَتِهَا وَثَوَابِهَا..... ١١١
- مما يجب الإيمان به من أمور يوم القيامة: موازين الأعمال..... ١١٥
- مما يكون في يوم القيامة: إعطاء الناس صحائف الأعمال..... ١١٧
- الصراط ووصفه..... ١٢٠
- الإِيمَانُ بِحَوْضِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ..... ١٢٢
- من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول باللسان، واعتقاد
بالقلب، وعمل بالجوارح، وأنه يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية..... ١٢٣
- فرق المرجئة..... ١٢٥
- من أصول أهل السنة والجماعة؛ أن ما دون الشرك من الذنوب
والمعاصي محرم، وفيه وعيد، ولكن لا يصل صاحبه إلى حد الكفر..... ١٢٨
- مرتكب الكبيرة دون الشرك تحت المشيئة..... ١٢٩

- الشُّهَدَاءُ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَّقُونَ..... ١٣٢
- عذاب القبر ونعيمه دلت عليه الأدلة المتواترة..... ١٣٤
- تعلقات الروح بالبدن..... ١٣٤
- من أصول أهل السنة والجماعة الإيمان بفتنة القبر..... ١٣٦
- أهل السنة والجماعة يؤمنوا بالحفظه الكرام الكاتبين..... ١٣٨
- الإيمان بالملائكة أحد أركان الإيمان الستة..... ١٣٨
- أصناف الملائكة..... ١٣٩
- من أصول أهل السنة والجماعة: أنهم يعتقدون أن خير القرون هم
الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ..... ١٤٣
- الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يتفاضلون..... ١٤٥
- من أصول أهل السنة والجماعة: الثناء على صحابة رسول الله
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن لا يذكر أحد منهم إلا بأحسن الذكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ..... ١٤٦
- من أصول أهل السنة والجماعة: السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين... ١٤٩
- من أصول أهل السنة والجماعة اتباع السلف الصالح..... ١٥١
- من أصول أهل السنة والجماعة ترك المراء والجدل..... ١٥٦
- ختم هذه الرسالة القيمة بالصلاة والسلام على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... ١٥٦
- فهرس المراجع..... ١٦١
- فهرس الموضوعات..... ١٨١